المملكة المغربية
الرابطة المحمدية للعلماء
مركز ابن البنّا المراكشي
للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية

# حنين بن إسحاق في مكتبات ألمانيا

أ.د. أحمد السري

www.arrabita.ma

# حنين بن إسحاق في كتابات ألمانية

أ. د. أحمد السري
جامعة الإمارات العربية المتحدة

**مدخل:**

تاريخ العلوم حقل معرفي حيوي في الكتابات التاريخية الأوروبية، أخذ في النمو المتزايد ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ولأن علوم الحضارة الإسلامية كانت واسطة بين العلوم القديمة والعلوم الحديثة المزدهرة في الغرب، فقد فرض هذا الواقع التاريخي نفسه على المشتغلين بتاريخ العلوم في إطار الاستشراق الغربي كله. علوم الحضارة الإسلامية تلك عرفت في كتابات الاستشراق الألماني بظاهرة «العلم العربي» Arabismus. ولأن الاستشراق الألماني أنجز دراسات كثيرة حول ظاهرة «العلم العربي» هذه، فلابد من الالتفات إليه لمعرفة إسهاماته المتميزة في هذا الحقل المعرفي الذي يرصد مسارات العلوم الطبيعية المختلفة، أين بدأت وكيف تطورت وما هي مساراتها بين الأمم والحضارات؟ ويعد عرض صورة حنين بن إسحاق في كتابات ألمانية مساهمة في التعريف بالاستشراق الألماني ودوره في إبراز إسهامات الحضارة الإسلامية في مسيرة الحضارة الإنسانية. ويحسن في البدء أن نعرف معنى ظاهرة «العلم العربي» Arabismus، التي تم تداولها في كتابات كثيرة ذات صلة بتاريخ العلوم، فهي تعني العلوم المؤلفة باللغة العربية التي استجلبها الغرب المسيحي اللاتيني من خلال ترجماته للمؤلفات العربية ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي، لاسيما ما ترجم في الطب والصيدلة والفلك. وكان ضروريا أن تتفاعل العلوم العربية في الغرب اللاتيني وتصير أساسا لأنشطة علمية مختلفة، لكن هذا التفاعل قاد بعد إتمام عملية الترجمة، وفي

عصر النهضة تحديدا، إلى نقاشات حامية الوطيس حول أصل وطبيعة العلوم العربية وعلاقتها بالعلم الإغريقي القديم. ورغم تباين المواقف في تلك النقاشات إلا أن هذا «العلم العربي» تم هضمه في الخلاصة ودمجه في مجرى النشاط العلمي الأوربي في القرون التالية[1]، إذ شكلت المؤلفات العربية والترجمات عن اليونانية حتى عصر النهضة في القرن السادس عشر الأساس المدرسي في الحياة العلمية الأوروبية[2].

كانت علاقة العلم العربي بعلوم الإغريق مدار النقاشات الحامية بين كتاب عصر النهضة، وقد اتخذت تلك النقاشات اتجاهات غير ودية غالبا تحت تأثير المواجهات الحربية الطويلة الأمد وسطوة الكنيسة على الفكر الأوروبي والعلوم عامة، وتمكن عصر النهضة الأوروبية بملامحه القومية وإنجازاته العلمية بعدئذ من إزاحة ظاهرة «العلوم العربية» والإعلاء من شأن العلم الإغريقي أبا وأما للعلوم الأوروبية، رغم اعتمادهم الكتب العربية المترجمة أصلا للتدريس والتدارس. وقد نسيت العلوم العربية، ولم يلتفت إليها ثانية بشكل جدي وبكثير من الاعتراف والتوقير إلا في عصر الأنوار التالي لعصر النهضة، العصر الذي أخذ يتلمس طرقا في التفكير متمردة على أنماط الفكر الكنسي، ويرسي أسسا علمية في التفكير انعكست على سائر الأنشطة البحثية التالية

(1) لمعرفة المزيد عن ظاهرة «العلوم العربية» في أوربا العصور الوسطى ينظر في كتابات المستشرق شيبرجز الآتية:

Shipperges, H. (1961) Ideologie und Histeriographie des Arabismus, Franz Steiner Verlag.Wiesbaden.

Schipperges, H. (1976) Arabische Medizin im lateinisccchen Mittelalters. Sitzungsberichte der heidelberger Akademie der Wissenschaften Mathematik-naturwissenschaftliche Klasse. Jahrgang 1976. 2 Abhandlung. Spring-Verlag Berlin heidelberg New Yourk.

(2) Raff, W. (1984) Deutsche Augenärtzte in Ägzpten- von Franz Ignaz bis Max Meyerhof. Unveröffentlichte Dissertation vom 10.10.84 der technischen Universität Münschen. (p 138).

لعصر النهضة، وكان النصف الثاني من القرن التاسع عشر هو الزمن الذي شهد اهتماما خاصا بتاريخ العلم[1]. في هذا الإطار تطورت الرغبة في معرفة المزيد عن مسار الأفكار العلمية وتطورها، وفي هذا السياق برزت ثانية مناقشات حول الإسلام والعلوم العربية وتباينت فيها الآراء ثانية[2]، لكن حضورها القوي في تفاصيل تاريخ العلم فرضها بقوة على العقول الجديدة الباحثة باعتبارها حلقة وصل وواسطة عقد بين العلوم القديمة والعلم الغربي الحديث، وأخذ الاستشراق الغربي المتحرر من سطوة الكنيسة المتوارية بالتدريج من ساحة الفعل الاجتماعي العلمي يضع أسئلة علمية جادة لاستكمال حلقات المعرفة ويكون أكثر موضوعية وعلمية.

وأيا كانت وجهات الجدل الأوروبية حول ظاهرة «العلم العربي» إلا أن حقيقة ساطعة كانت تشع عبر كل أشكال النقاشات والدرس العلمي، وهي أن العلم الإغريقي القديم استجلبه العرب والمسلمون مع غيره من علوم الأقدمين بجهود مشهودة خلال ما يزيد عن قرنين من الزمان تمثلت في البحث عنه وترجمته وتعهده بالرعاية والتطوير.

استوقفت ظاهرة استجلاب[3] العلوم إلى العربية كثيرا من الدارسين لمعرفة حواملها

(1) Raff, 1984/138.

(2) Schipperges, 1966/3-5.

(3) في كتابه: العلم العربي في حضارة الإسلام، ناقش صبرة ( 2000) محقا عدم كفاية اصطلاح «تلقي» المقابل لكلمة reception واقترح كلمة «احتضان» بدلا من ذلك، لكن كلا المفردتين لا تعطيان معنى الجهد المبذول لتحصيل المعرفة، بينما تعطي كلمة الاستجلاب التي نقترحها هنا معنى الجهد لما قام به المسلمون أولا ثم الأوروبيون بعد ذلك لترجمة العلوم إلى لغاتهم، ومع ذلك فهي ليست بديلا لباقي الاقتراحات ( التلقي أو الاحتضان)، بل لفت انتباه إلى الجهد المبذول لتحصيل العلوم وتطويرها بعدئذ. عبد الحميد صبرة، العلم العربي في حضارة الإسلام، ترجمة عبد الله العمر، دار قرطاس للنشر، الكويت، 2000. (ص 29) وما بعدها.

السياسية والاجتماعية وفك طلسم الشغف العلمي الذي سرى في أوردة العقل الإسلامي آنئذ. ولعل أبرز الدراسات في هذا الصدد، دراسة ديمتري غوتاس التي تتبع فيها الظاهرة من كل جوانبها ورأى أن من النتائج الإيجابية للفتوح الإسلامية أنها وحدت نطاقا جغرافيا واسعا فأزيحت الحدود التقليدية وصار ممكنا بيسر انتقال الأفراد والبضائع والأفكار والثقافات، ثم جاءت الثورة العباسية التي انتهجت سياسات اجتماعية مشجعة للتواصل والتفاعل، وبدأت هي بالبحث عن العلوم القديمة وطلب ترجمتها لاسيما وقد صارت مراكز العلم القديمة في قلب الخلافة الإسلامية زمن العباسيين، وخلص إلى أن حركة الترجمة كانت عملية مشتركة شاركت فيها فئات سياسية واجتماعية واسعة ضمنت لها الاستمرار لما يزيد عن قرنين من الزمان (2-4/ 8-10)، إلى أن نضبت مصادر الترجمة ولم يعد هناك ما يترجم[1]. كانت حركة الترجمة حتمية تاريخية، كما يصفها أحمد يوسف الحسن، اقتضتها التطورات السياسية والاجتماعية للخلافة الإسلامية لاسيما وقد شاعت العربية لغة للعلم والإدارة والتواصل[2]. في هذا الإطار التاريخي الذي نومئ إليه هنا بإيجاز شديد ظهر حنين بن إسحاق العبادي بترجماته المميزة في القرن الثالث الهجري (194-260/ 808-873)، فحولته إلى أبرز الشخصيات العلمية التي لا يمكن تجاوزها في أي درس يخص الحضارة الإسلامية أو تاريخ العلم.

---

(1) غوتاس، ديمتري، (2003): الفكر اليوناني والثقافة العربية: حركة الترجمة اليونانية العربية في بغداد والمجتمع العباسي المبكر. ترجمة نقولا زيادة، مركز دراسات الوحدة العربية، (ص. 29) وما بعدها. انظر أيضا. صبرة، (2002): العلم العربي في حضارة الإسلام، ترجمة عبد الله العمر، دار قرطاس للنشر، الكويت.

(2) Al- Hasan, Ahmed Y. (2001): The age of translation, in The different aspects of Islamic cultures, Volume 4 part 1, UNICCO publishing. (p. 87-110).

لم يكن حنين بن إسحق العربي النسب المسيحي الديانة النسطوري المذهب أول المترجمين ولا آخرهم، لكنه برز وتميز فبَزَّ المتقدمين والمعاصرين وغطى ألق اسمه على السابق واللاحق من المترجمين إلى اليوم، وارتبط اسمه تحديدا بأبرز وأشهر أطباء الزمن القديم أبقراط (460-377ق.م) وجالينوس (129 ١٩٠ ب.م). وقد كان منذ نشأته الأولى صبيا محاطا بنشاط الترجمة وبثقافة علمية متنوعة ونشاط فكري بارز توضحه سيرته التي فصل فيها ابن أبي أصيبعة ( 600-668/ 1202-1270) واستقى منها بعد ذلك كل الكتاب لأنها المصدر الوحيد المفصل عن حنين[1]. وعاصر حنين عشرة من خلفاء بني العباس أولهم المأمون (198-218/ 813-833) وآخرهم المعتضد (256-279/ 870-892) ولم يكن زمنه سياسيا زمن استقرار، بل زمن عاصف متقلب شهد حرب الأمين والمأمون ومحنة خلق القرآن والتمردات العسكرية الكثيرة على الخلافة وهيمنة العسكر الترك على قرارات الخليفة وانتقال العاصمة إلى سامراء واحتدام مؤامرات القصر وكثرة العزل والتولية وشيوع التعصب المذهبي. ومع ذلك استمر زخم النشاط العلمي صُعُدا بفضل الحاجة إليه وبفضل الحوامل الاجتماعية التي ضمنت له استبقاء الأثر السياسي عليه في أضيق الحدود.

كان الألمان أول من تساءل عما تمت ترجمته بالضبط من اليونانية إلى العربية واللغات الشرقية الأخرى، وهو سؤال كانت الإجابة عنه جوهرية لتتبع مسار الأفكار وتطورها ومعرفة -من ثم -ما هي الإسهامات العلمية التي تخلقت في إطار الحضارة الإسلامية؟

والسؤال عما تمت ترجمته بالضبط عنى تلقائيا البحث في عصر الترجمة والمترجمين، وكان من نتيجة هذا السؤال أن تم البحث في المكتبات المختلفة عن مخطوطات عربية لمؤلفين يونان لعمل قوائم تفصيلية يمكن الاعتماد عليها في تتبع مسار الفكر العلمي.

(1) ابن أبي أصيبعة، ( د- ت) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار صادر، بيروت، (2/ 139- 165).

وقد اتسع السؤال ليشمل معرفة اللغات المترجم عنها إلى العربية، أعَن السريانية أم عن اليونانية مباشرة أم عن كليهما؟ وهل ما تزال الأصول المترجم عنها موجودة أم اختفت؟ وهل يمكن الوثوق بنسبة الكتب إلى أصحابها أم هناك كتب أصلية وأخرى منتحلة تنسب من قبل المترجمين لهذا الكاتب أو ذاك؟ ما هي الكتب الأصلية وما هي المختصرات؟ وما هي صلة المؤلفات العربية العلمية بأصولها اليونانية؟ وأين بالضبط تكمن الإسهامات؟ أسئلة توالدت في سياق البحث العلمي كلما تقدم وأنجز، لكن قلة المصادر وتشرذمها في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، زمن هذه التساؤلات، لم تكن تغني لتجيب على كل الأسئلة.

كان الألمان، ومن خلال الجمعية الملكية للعلوم، أول من أشار إلى ضرورة وضع ثبت للترجمات العربية والسريانية والأرمنية والفارسية للمؤلفين اليونان، وهو مالم يكن موجودا حتى حينه[1]. كان ذلك عام 1830 في محضر جلسة الجمعية المنعقد بمدينة غوتنجن. هذا المحضر رسم هدفا علميا للأنشطة البحثية المقبلة وقد ظهرت نتائج هذا التوجه سريعا، فظهرت عام 1841 مقالة باللاتينية لغوستاف فوغل وكانت مسحا متواضعا اشتملت على 91 ترجمة عربية، وفي السنة التالية 1842 ظهرت مقالة يوهان فنريخ وكانت أدق عملا، فاشتملت على دراسة لمعرفة خلفيات الترجمة إلى اللغات العربية والسريانية والفارسية وطبيعتها، ثم قائمة بأسماء المؤلفين اليونان وأعمالهم التي ترجمت. وبعد نصف قرن من هذه الأعمال ظهرت سلسة مقالات لموريتس شتاينشنايدر حول الموضوع نفسه ونشرت في دوريات متنوعة بين عام 1889 إلى عام 1896، ثم طبعت مجتمعة في مجلد عام 1960[2] بعنوان: «الترجمات العربية من

(1) غوتاس، 2003/ 11.

(2) غوتاس، 2003/ 12.

اليونانية» «Die Arabischen Übersetzungen aus dem Grieschichen» ، ثم أخذت تتوالى الإصدارات حول هذا الموضوع تباعا من مؤلفين مختلفين[1].

## 1. حنين بن إسحاق في كتابات ألمانية مستقلة

يمكننا بالطبع تصور بروز اسم حنين بن إسحاق في سياق الأعمال السابقة مترجما ومؤلفا، وهو اسم لا يخلو منه عمل له صلة بتاريخ الطب وبالترجمات اليونانية العربية عموما. ومع ذلك فالغالب في الكتابات العامة هو تقديم سيرة موجزة عن حنين وكيل المديح له وخلع الألقاب التشريفية عليه بوصفه مترجما عبقريا وأنه أبرز الشخصيات العلمية للقرن التاسع الميلادي.

لكن هناك دراسات منذورة حصريا لحنين بن إسحاق وأعماله هي التي تستحق الإبراز والعرض لارتباطها بأسماء شهيرة في عالم الاستشراق الألماني وتاريخ الطب، وهي تحديدا دراسات هيرشبيرج (1925-1843) Julius Hirschberg وبيرجشتريسر (1933-1886) Gotthelf Bergstraesser ومايرهوف (1945-1874) Max Meyerhof، وهم كما نرى متعاصرون، وقد قدر لهؤلاء الثلاثة أن يرتبط باسم كل واحد منهم كشف علمي ذو صلة بحنين بن إسحاق كما سنرى. هيرشبيرج اكتشف أن كتاب حنين المفقود بعنوان «كتاب العشر مقالات في العين» موجود في ترجمتين لاتينيتين، وعثر مايرهوف على هذا الكتاب، وغيره، فحققه وترجمه وأصدره، وعثر بيرجشتريسر في

(1) من ذلك مثلا «الترجمات العربية للأطباء اليونان في مكتبات إسطنبول».

Ritter, H & Waltzer. R. (1934): Arabische Übersetzungen grieschicher Ärtzte in stambuler Bibliotheken. Verlag der akademischie der wissenschaften. Berlin.

أو«الطب العربي: دراسات حول مخطوطات الطب العربية في المكتبات التركية والسورية».

Dietrich, A. (1966): Meidicinalia Arabia: Studien über Arabischen medizinische Handschriften in türkischen und syrischen Bibliotheken. Vandenhoeck & Ruprecht, Göttingen, (pp. 39-44).

إحدى مكتبات إسطنبول بتركيا على رسالة كتبها حنين بن إسحاق إلى أحد أصدقائه تعد من أهم الرسائل الغنية بالمعلومات، وفيها ثبت مفصل لما ترجم عن جالينوس حتى زمن حنين بن إسحاق. يضاف إلى هؤلاء الثلاثة المستشرق المعاصر شتروماير Gotthard Strohmaier المنشغل بتاريخ العلم والمنجز لعدة أبحاث هامة تتعلق بحنين بن إسحاق. وسنبدأ بعرض كتابات الثلاثة الأوائل ذات الصلة بحنين بن إسحاق لتعاصرهم وارتباط أعمالهم العلمية ببعض، لكنا لن نتبع هنا خطا زمنيا متتاليا بالضرورة بل سنعرضهم على نحو يسهم في تقديم صورة متماسكة لطبيعة الاهتمامات العلمية المرتبطة بحنين بن إسحاق، وسنبدأ بهيرشبيرج.

## هيرشبيرج وحنين بن إسحاق

في الوقت الذي كان البحث فيه جاريا عن الترجمات والمؤلفات العلمية الأخرى لضبطها في قوائم، كان هيرشبيرج (1843-1925)، أستاذ طب العيون في جامعة برلين، عاكفا على إنجاز عمله الضخم « تاريخ طب العيون»، وقد أصدر منه تباعا سبعة مجلدات وكان المجلد الثامن الصادر عام 1908 مخصصا لتاريخ طب العيون عند العرب والشعوب الإسلامية. وقد سبق هذا العمل العلمي الكبير نشر بحث عام 1903 بعنوان [1] «Über die älteste arabische Lehrbuch der Augen» «عن أقدم كتاب طب عيون تعليمي عربي» ومدار البحث كله، بعد تمهيدات حول تطور الطب عند العرب، «كتاب العشر مقالات في العين» لحنين بن إسحاق، وهو الكتاب الذي عد مفقودا حتى آنئذ. أعلن هيرشبيرج في هذا البحث أن كتاب حنين المفقود موجود في

(1) Hirschberg, (1903): Über die älteste arabische lehrbuch der Augen, Sitzung der philosophisch-historischen Classe, vom 26. Nov. (pp 1080-1094). In Islamic Medicine volume 23 Hunain Ibn Ishaq (d.260 873) Texts and studies. Collected and reprinted by Fuat Sezgin (1996) Institute for the History of Arabic-Islamic Science at the Johann Wolfgang Goethe University Frankfurt am Main.

ترجمتين لاتينيتين لم تنسبا لحنين بن إسحاق هما: «طب العيون لقسطنطين الأفريقي» وفيه تسع مقالات، وقد طبع عام 1515، و«طب العيون لجالينوس ترجمة ديمتريوس» وفيه تسع مقالات أيضا، وقد طبع عام 1541 واستمر يطبع حتى عام 1625[1].

تمكن هيشربيرج من هذا الاكتشاف بفضل دأبه الصبور وحسه التاريخي ومنهجه العلمي وحنكته الفيلولوجية. وبفضل المقارنات التي أجراها بين هاتين الترجمتين اللاتينيتين وما يرد من مقتبسات عن كتاب حنين هذا عند الرازي في كتابه «الحاوي في الطب» وعند ابن سيناء في كتابه «القانون في الطب» ثم بفضل كتاب الفهرست لابن النديم (ت 438/ 1047) وكتاب ابن أبي أصيبعة الشهير «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، وهو أهم مصادر تاريخ الطب. وجد هيرشبيرج أن ترتيب الكتاب كما يرد عند ابن أبي أصيبعة هو نفسه الترتيب الوارد في الترجمتين، ثم قارن بين نصوص الرازي وابن سيناء ونصوص الترجمتين فوجد تطابقا مذهلا أسلمه إلى إعلان اكتشافه العلمي هذا. ولم يكن هيرشبيرج مستشرقا ولا يجيد العربية، لكنه يعرف اللغات اللاتينية واللغات الأوروبية الأساسية، أما العربية فقد استعان بمستشرقين ليترجموا له ما احتاج إليه من معارف، ولذلك نرى أن هذا البحث المنشور عام 1903 عليه اسم هيرشبيرج واسم المستشرق ريتر Ritter، وبصدور كتاب «تاريخ طب العيون عند العرب والشعوب الإسلامية» عام 1908، ظهر جليا المدى المتقدم الذي وصل إليه طب العيون في الحضارة الإسلامية. أجاب الكتاب لا ريب على أسئلة وأثار أخرى، ومن بين الأسئلة المثارة ما تعلق بالمفقود من المخطوطات العربية حول طب العيون وأولها كتاب حنين «العشر مقالات» وهل يمكن العثور عليه؟ وهو سؤال طرحه طبيب

(1) انظر مقدمة ماير هوف (1928) لكتاب: كتاب العشر مقالات في العين المنسوب لحنين بن إسحاق، دار صادر بيروت، (ص. 41).

العيون والمستشرق الألماني مايرهوف، وسيحالفه الحظ في العثور عليه وعلى مخطوطات أخرى ذات صلة بالطب عامة وبطب العيون على وجه الخصوص.

## مايرهوف وحنين بن إسحاق

مايرهوف (1847-1945)، هو أيضا طبيب عيون في الأصل، ولا ينحدر من مدرسة الاستشراق التقليدية، لكنه أظهر حصافة علمية وحسا تاريخيا عاليين، إلى جانب دأب وجهد لايطيقهما إلا القلة من الناس. أجاد الإنجليزية والفرنسية والعربية والعبرية وقدرا من الفارسية والتركية، وأنتج ما يزيد على ثلاثمائة عمل علمي موزعة بين طب العيون والصيدلة وتراث الطب الإسلامي عامة وطب العيون خاصة، وحقق وترجم ونشر عددا من الكتب الطبية العربية وكان له الفضل في التعريف بابن النفيس وأعماله العلمية في أوساط الاستشراق الأوروبي[1]، وهو صاحب البحث المشهور حول مسار الأفكار العلمية ومراكزها بعنوان «من الإسكندرية إلى بغداد». عاصر مايرهوف زميله هيرشبيرج، وربطت بينهما صداقة علمية، فكلاهما كان طبيب عيون وكلاهما شغف بالتراث الطبي وأخلص له، كما عاصر المستشرق اللامع في زمنه بيرجشتريسر واستفاد من دراساته حول حنين بن إسحاق بل استعان به للتحقق من بعض الأمور العلمية كما سيأتي.

مايرهوف درس الطب، واستقر في القاهرة طبيب عيون في مطلع القرن العشرين ومات فيها مصريا، وقبره مشهود في المقبرة اليهودية بالقاهرة. شرع مايرهوف بتعلم العربية فور وصوله إلى القاهرة، وأنشأ شبكة علاقات اجتماعية واسعة وأخذ يبحث عن نفائس المخطوطات الضائعة في مكتبات القاهرة والإسكندرية وفي المكتبات

(1) السري، أحمد: (2009) ماكس مايرهوف وتراث الطب الإسلامي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 105، مجلس النشر العلمي الكويت.

الخاصة، وأهمها مكتبة الأستاذ أحمد تيمور الذي يحظى بوصف تبجيلي من قبل مايرهوف بوصفه شخصية علمية يمتلك مكتبة ضخمة جعلها بيسر في متناول المهتمين، ومن بين مخطوطاته الكثيرة عثر مايرهوف عام 1908 على مجلد يحوي تسع مخطوطات إحداها «كتاب العشر مقالات في العين» لحنين بن إسحاق، لكنه وجده ناقصا وأخذ يبحث عن نسخ أخرى تكمل النقص. وفي هذه الأثناء استغل المادة التي بين يديه ونشر بالتعاون مع المستشرق **پروفر** Prüfer ثلاثة أبحاث ذات صلة بحنين بن إسحاق وترجماته هي «تشريح حنين بن إسحاق للعين»[1] Die Augenanatomie des Hunain Ibn Ishaq و«كيفية الرؤية عند حنين بن إسحاق»[2] Die lehre vom sehen bei Hunain Ibn Ishaq و«رأي أرسطوطاليس في الضوء كما يقدمه حنين بن إسحاق»[3] Die aristotelische lehre vom Licht bei Hunain Ibn Ishaq.

في المقالة الأولى التي نشرت عام 1910 يشير مايرهوف إلى ازدهار العلم العربي في القرن التاسع الميلادي وإلى تميز حنين بن إسحاق في الترجمة ونشاطه العلمي كما يتم

(1) M. Meyerhof & C. Prüfer, (1910): Die Augenanatomie des Hunain Ibn Ishaq. Nach einem illustrierten arabischenen Manuskript. Archiev für geschichte der Medizin, Bn 1V, September, Heft 3,1910. (pp 163-190). In Islamic Medicine volume 23 Hunain Ibn Ishaq (d.260 873) Texts and studies. Collected and reprinted by Fuat Sezgin. 1996 Institute for the History of Arabic-Islamic Science at the Johann Wolfgang Goethe University Frankfurt am Main.

(2) M. Meyerhof & C. Prüfer, (1911): Die Lehre vom sehen bei Hunain Ibn Ishaq. (pp 21-33). In Islamic Medicine volume 23 Hunain Ibn Ishaq (d.260 873) Texts and studies. Collected and reprinted by Fuat Sezgin. 1996 Institute for the History of Arabic-Islamic Science at the Johann Wolfgang Goethe University Frankfurt am Main.

(3) M. Meyerhof & C. Prüfer, Die aristotelischen Lehre vom Licht bei Hunain Ibn Ishaq. (pp 117-128). In Islamic Medicine volume 23 Hunain Ibn Ishaq (d. 260 873) Texts and studies. Collected and reprinted by Fuat Sezgin. 1996 Institute for the History of Arabic-Islamic Science at the Johann Wolfgang Goethe University Frankfurt am Main.

الإفصاح عن العثور على كتاب « المقالات العشر في العين» في مكتبة أحد وجهاء مصر، ثم تعطى معلومات مفصلة عن الكتاب بالمقارنة مع الدراسات السابقة ومعلومات ابن أبي أصيبعة وستتكرر بعدئذ هذه المعلومات عند تحقيق وترجمة وإصدار الكتاب كاملا عام 1928.

يكتفي مايرهوف في هذه المقالة، بسبب نقص الكتاب، بنشر الجزء الخاص بالتشريح، ويشير إلى أن حنينا سبق أن ترجم سبعة كتب لجالينوس تتعلق بتشريح العين، وأن هذه الكتب السبعة نشرت منسوبة لجالينوس مباشرة من قبل المستشرق سيمون عام 1906 في لايبتزج بألمانيا[1] ولذلك يذهب مايرهوف إلى أن ما كتبه حنين في كتاب المقالات العشر عن تشريح العين ليس سوى مختصر عما كتب جالينوس لكنها عند حنين أوضح لغة وأيسر فهما وأقل استطرادا، ويضيف أن حنينا لم يصوب أي خطأ تشريحي بل أخذ تشريحات جالينوس كما هي، ثم تبدأ الترجمة الألمانية للفصل الخاص بتشريح العين، ولأغراض الترجمة الوافية استعان مايرهوف بنسخة هيرشبيرج اللاتينية.

وفي المقالة الثانية «كيفية الرؤية عند حنين بن إسحاق» ينشر مايرهوف فصلا آخر من كتاب العشر مقالات الناقص مترجما إلى الألمانية (مستعينا بالمستشرق **پروفر**) متعلقا بمذهب الرؤية عند حنين، مستعينا أيضا بالنسخة اللاتينية المملوكة لهيرشبيرج، وبنسخة فارسية مجهولة حول طب العيون تشتمل على رسوم للعين ضمنت المقالة وأشير إليها. وفي المقدمة يبدي مايرهوف إعجابه بطبيعة الجدل الذي يقدمه حنين حول الرؤية وبمصطلحاته المستحدثة مثل «الروح النوري». ولأن مايرهوف طبيب عيون في الأصل فقد استعرض بإيجاز الآراء المتعلقة بكيفيات الرؤية في التراث اليوناني القديم وعند العرب من خلال أسماء علماء مثل الكندي والفارابي وابن الهيثم، أما ما يخص

(1) Simon, Max (1906): Sieben Bücher Anatomie des galen, Leipzig.

حنينا من كيفيات الرؤية هذه، فقد ذكر أنه لم ينشغل أصلا بطبيعة الرؤية، رغم أنه ترجم أعمالا لأرسطوطاليس في الفيزياء، كما ترجم رسائل قصيرة عن مينولوس وأرخميدس، ولكنه في كتابيه «العشر مقالات» وكتاب «المسائل في العين» لم يتمسك إلا بآراء جالينوس في الرؤية، وأنها تنطلق مما يسمى «بالروح النفساني». ثم يستمر في مناقشة طبيعة الرؤية بين أصل جالينوس وترجمة حنين، ويشير إلى أن طبيعة الرؤية، كما نقلها حنين، كانت هي المتبعة عند جميع أطباء العرب باستثناء الرازي، وخلاصتها أن الروح النفساني للرؤية يخرج من الدماغ إلى العصب ومنه إلى الهواء.

وفي المقالة الثالثة «رأي أرسطوطاليس عن الضوء كما يقدمه حنين بن إسحاق» يتعلق الموضوع أصلا برسالة لحنين بن إسحاق بعنوان «في الضوء وحقيقته» وهي رسالة عثر عليها وترجمها إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي لويس شيخو P. Louis Cheiko ونشرها عام 1899 في مجلة «المشرق» التي كان يصدرها بالعربية الآباء اليسوعيون، وقد قام كل من مايرهوف وزميله **بروفر** بترجمة هذه الرسالة إلى الألمانية. وفي مقدمتهما يذكر مايرهوف أن حنينا كان عارفا ممتازا لكتب أرسطو وأنه ترجم إلى السريانية وإلى العربية عددا منها مثل كتاب التصنيف (تصنيف الكائنات الحية) والفيزياء والميتافيزيقا والأخلاق، ثم يبدأ مايرهوف نقاشا حول الضوء ونظرياته مما لا صلة له بحنين بن إسحاق، لكنه يذكر أن حنينا ألف هذه الرسالة اعتمادا على مقولات أرسطوطاليس وجالينوس في الضوء، كما يذكر إشارة حنين إلى أحد المصادر التي نقل عنها عن أرسطوطاليس وهو «كتاب الروح». ويتتبع مايرهوف هذه الإشارة للتحقق من المعلومة ويجدها صادقة كما يجد مواضع أخرى عن الضوء لم يشر إليها حنين ولا يبدو أنه استخدمها، لكنه لا يستبعد استخدامه لمقتطفات أخرى غير معروفة لديهم، وهو احتمال مصدره زيادة مادة حنين عن المصدر الذي أشار إليه، وهو ما حمل مايرهوف على الشهادة لحنين بأنه كتب القسم الأعظم من هذه الرسالة، وهو القسم المتعلق بلاجسمانية الضوء «عن أن الضوء ليس بجسم»، ودلل على ذلك بثلاث عشرة

حجة ساقها حنين للتدليل على الفكرة، وهي حجج تتجاوز ما وجده عند أرسطوطاليس؛ لأن الأخير لم يذكر إلا مرة واحدة كون الضوء ليس بجسم. وفوق ذلك تظهر آراء الضوء الأرسطوطاليسية عند حنين أكثر وضوحا بفضل شروح حنين بن إسحاق ووضوح لغته.

ولم يقف انشغال مايرهوف بحنين بن إسحاق عند هذا الحد، فقد استبشر المجتمع العلمي كله عام 1925 بنشر المستشرق بيرجشتريسر (الآتي ذكره) لرسالة حنين بن إسحاق إلى علي بن يحيى. وفيها ثبت لما ترجم من كتب جالينوس هو وغيره مع تعريف موجز لمحتوى كل كتاب، وقد اكتفى بيرجشتريسر بنشر الرسالة بعد تحقيق نصها ودراسته أسلوبيا وترجمته إلى الألمانية، لكنه لم يقف عند محتوى الرسالة الغني بالمعلومات ولم يستخلص منها شيئا، وقد كان هذا مبرر مايرهوف لكتابة مقالة مطولة عن محتوى هذه الرسالة نشرها بالإنجليزية عام 1926 في مجلة إيزيس Isis الشهيرة آنئذ بعنوان «أضواء جديدة حول حنين بن إسحاق وزمنه»[1].

وقد استفاد مايرهوف من هذه الرسالة في إعادة رسم حياة حنين بن إسحاق مقارنة بما يرد عند ابن أبي أصيبعة. كما أبرز عالم الترجمة ليومئذ، بداياته وتطوره وفقا لرؤية حنين في هذه الرسالة، كما أبرز علاقة حنين بجالينوس وكتبه ومسار ترجمتها إلى اللغتين السريانية والعربية عبره وعبر غيره من المترجمين السابقين والمعاصرين بل وطرق تعلمها مقارنة بطرق التعلم التي سادت في مدارس الإسكندرية، وخرج باستخلاصات حول علاقة الترجمات اليونانية العربية بإرساء مفاهيم الطب الإغريقي على حساب الهندي وغيره، وقد التفت مايرهوف إجمالا لروح العصر العلمي كما تبينه شوارد الرسالة في سياق عرض الكتب المترجمة ومترجميها.

(1) Meyerhof (1926): New Light on Hunain Ibn Ishaq and his period, Isis, vol. 8. N° 4, October 1926, (pp 685-724).

## مايرهوف و«كتاب العشر مقالات في العين»

«كتاب العشر مقالات في العين» كتاب مطبوع منذ العام 1928، وقد قام بنشره محققا ومترجما إلى اللغة الإنجليزية مايرهوف الألماني، وتظهر المقدمة[1] التي كتبها حنين بن إسحاق مقدار الشغف العلمي الكبير الذي جعل مايرهوف يبحث وينقب ويترجم حتى أتت تلك المقدمة الضافية التي استعرض فيها أبحاث هيرشبيرج والمصنفات العربية الأولى في طب العيون، كما ضمنها قائمة بالمصنفات العربية الأولى في طب العيون وقدم سيرة ضافية لحنين بن إسحاق تعد الأشمل حتى حينه وقد قسم سيرته إلى قسمين سيرة ذاتية وسيرة علمية اشتملت على مؤلفات حنين المعروفة، ثم عرض للتحريرات المختلفة التي لقيها الكتاب كما عرض للمحتوى العلمي للمقالات العشر، وناقش لغة الكتاب وأسلوب تأليفه وختم بخلاصة تبرز دور حنين العلمي في الترجمة والتأليف.

والمقدمة على هذا النحو توشك أن تكون تاريخا موجزا للمعروف من المدونات الطبية العربية عامة ومدونات طب العيون بخاصة. في هذه المقدمة تحدث مايرهوف بتوقير كبير عن أبحاث هيرشبيرج التاريخية حول طب العيون وذكر أنها كانت مصدر إلهام وتحفيز بالنسبة له؛ إذ شغف بالبحث عن ذلك الضائع العربي المتواري في إهاب لاتيني، فطفق يبحث في مكتبات مصر والإسكندرية ويراسل المهتمين من المستشرقين في الشرق والغرب. وقد عثر في طريق بحثه عام 1908 في مكتبة أحمد تيمور العامرة على مجلد يحوي مخطوطات عن طب العيون منها «كتاب العشر مقالات في العين» لكنه وجده ناقصا فوصفه ووصف مزاياه وعيوبه، وفي عام 1923 حصل على صورة أفضل لنفس الكتاب مكنه منها أحمد تيمور باشا وهي صورة عن نسخته

(1) انظر مقدمة مايرهوف، 1928، (1 – 66).

الأصل، وبعد اطلاعه على فهرس المخطوطات العربية في لينجراد، الذي أصدره المستشرق الروسي كراتشكوفيسكي تبين أنه يحتوي على نسخة خطية تضاهي نسخة أحمد تيمور وهي مكتملة باستثناء بعض أوراق من نهايتها، وهكذا حصل على نسخة متكاملة من الكتاب، ثم أخذ يقارن هذه النسخة بما ورد عند ابن أبي أصيبعة وغيره من المؤلفين العرب، وقد ألمح إلى طبيعة نشأة هذه المقالات وأنها كانت تسعا حتى زاد حنين عليها العاشرة بطلب من ابن أخته المترجم حبيش بن الحسن، كما ذكر أن هذه المقالات في الأصل هي ملخصات عما ترجم حنين من كتب جالينوس وأن حنينا اقتبس بحذق ومهارة جميع ما ورد في كتب جالينوس من الفقرات الخاصة بالعين وأمراضها وأنشأ منها كتابا علميا تغلب فيه النظريات على العمليات. وقد وضعه حنين ليكون في متناول من يريد الاستفادة أو لولديه كما فعل مع كتاب «المسائل في العين» المصنف على طريقة السؤال والجواب.

وكان لابد لمايرهوف أن يتحقق من نسبة الكتاب لحنين، والمدخل لذلك هو اللغة وأسلوب التأليف فاستعان بالمستشرق البارز بيرجشتريسر، الأقدر على فهم أساليب البلاغة العربية وأسرارها، فقام الأخير بدراسة أسلوب التأليف وخلص إلى أن الكتاب تشيع فيه أساليب حنين وحبيش ابن أخته وأساليب أخرى، ورجح أن الكتاب في صيغته الحالية هو من تأليف حنين في الأصل وزيادات تلامذته فيما بعد وأولهم حبيش بن الحسن ابن أخته، وأن هؤلاء المتأخرين أفسدوا العبارات الفصيحة التي يتميز بها حنين. وبسبب هذا الوضع استقر الرأي على أن لا يكون الكتاب من تأليف حنين بل اقترحت صيغة «المنسوب لحنين». وابتداء من هذا التاريخ بدأ العلماء باستخدام هذه الصيغة مع الإقرار لحنين البارز فيه في مبتدأه. وبعد فإن هذه المقدمة موجودة ضمن الكتاب المطبوع ويمكن قراءتها تفصيلا، لكن كان لابد من إيرادها هنا بوصفها عملا علميا ألمانيا متعلقا بحنين بن إسحاق ولأن استعراضها يساهم في تماسك صورة الجهد العلمي الألماني الذي نحاول إبرازه.

## بيرجشتريسر وحنين بن إسحاق

بيرجشتريسر (1886-1933)، لغوي ألماني متخصص في الساميات، ويعد أحد أبرز مسشترقي القرن العشرين، عمل أستاذا في جامعة لايبتزج وميونيخ الألمانيتين، كما عمل أستاذا في جامعة القسطنطينية بتركيا في أثناء الحرب العالمية الأولى. درس بيرجشتريسر اللهجات المحكية العربية والسريانية في سوريا وفلسطين إلى جانب معرفته الممتازة بالعربية والعبرية. أنجز دراسات عدة في مجال اللغات من أبرزها «المدخل إلى اللغات السامية عام 1928، وهو الكتاب الذي ضمن له شهرة كعالم متميز. وفيما يتعلق بالدراسات الإسلامية فقد انصب اهتمامه بشكل كبير على دراسة «تاريخ النص» أي نشأة النص وتحولاته اللغوية والدلالية على أساس المنهج الفيلولوجي (فقه اللغة)، وظهر ذلك في كتابه «تاريخ النص القرآني»، وفي دراسته لكتاب ابن جني «المحتسب في وجوه القراءات الشاذة للقرآن» وله أيضا «كتاب في معالم الفقه الإسلامي». أما ما يخص حنين بن إسحاق فله ثلاثة كتب الأول بعنوان «حنين بن إسحاق ومدرسته» Hunain ibn Ishaq und seine Schule صدر عام 1913، وبعنوان فرعي هو «أبحاث في اللغة وتاريخ التدوين حول الترجمات العربية لأبقراط وجالينوس». وكتاب «حنين بن إسحاق: حول ترجمة كتب جالينوس إلى السريانية والعربية» Hunain Ibn Ishaq: Über die Syrischen und Arabischen Galen-übersetzungen صدر عام 1925، وكتاب «مصادر جديدة حول ترجمات حنين بن إسحاق لكتب جالينوس» Neue Materialien zu Hunain Ibn Ishaq's Galen-Bibliographie صدر عام 1932[1].

(1) للحصول على سيرة موجزة كافية انظر النعي الذي كتبه مايرهوف في مجلة Isis:
Meyerhof (1936): Gotthelf Bergsträßer (1886-1933), Isis, vol. 25. N° 1 (May 1936) (pp. 60-62).

وفيما يتعلق بإصداره الأول، حنين ومدرسته[1]، نشير إلى أن هذا الكتاب بمحتواه كله كان قد صدر عام 1912 بعنوان[2]: الترجمات العربية المنشورة لأبقراط وجالينوس» وبعنوان فرعي هو «أبحاث في اللغة وتاريخ التدوين» لكن الذي شاع وانتشر واقتبس هو العنوان المثبت هنا «حنين بن إسحاق ومدرسته».

في كتاب حنين بن إسحاق ومدرسته، يخالف بيرجشتريسر منهجيا الجهود السابقة التي تركزت حول الحصول على قائمة أكيدة بالترجمات من اليونانية إلى اللغات الشرقية وتتبع مسار الكتاب أو مكان وجودها، لاسيما ما نشره شتاينشنايدر المشار إليه سلفا في (ZDMG. 50. 1896). ويحرص بدلا من ذلك على إخضاع النصوص المتوافرة من الكتب والترجمات للدرس والتمحيص والمقارنات ليخرج بمقولات تتعلق بأصالة الكتاب ومترجمه وأسلوب الترجمة ومساراتها المحتملة في المخطوطات المتوافرة.

بيرجشتريسر في هذا الكتاب وضع أمام عينيه المتوافر من المخطوطات والمطبوعات في المكتبات الألمانية ثم أخضع نصوصها لمنهجه الفيلولوجي، بادئا بذكر اسم الكتاب ومشيرا إلى المخطوطات المتوافرة لديه وأماكن ورودها في الفهارس المختلفة ووجودها المادي إن أمكن، ثم أخضع الصيغ النصية المختلفة وبعض شروحها للدرس والمقارنة بينها وبين الأصول اليونانية وما ورد في المصادر التاريخية الإسلامية وأبرزها كتاب ابن أبي أصيبعة «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» والمسعودي وابن النديم، ثم يناقش الصيغ النحوية والأساليب البلاغية المختلفة قيد الدرس مقارنا بينها وبين ما يرد عند الدارسين السابقين أو عند بروكلمان في كتابه الشهير «تاريخ المدونات العربية

1) Bergsträßer, (1913): Hunain ibn Ishaq und seine Schule: Sprach-und literargeschichtliche Untersuchung zu den arabischen Hipokrates-und Galen-Übersetzungen. E. J. Brill

2) Bergsträßer, (1912): Die bisher veröffentlichen arabischen Hipokrates-und Galen-Übersetzungen: Sprach-und literargeschichtliche Untersuchung. E. J. Brill - Leiden.

Geschichte der arabischen literatur» أو غيره ممن أصدر قوائم تعريفية بالمدونات والترجمات العربية. كل ذلك من أجل التحقق مما ترجم مما هو أصلي أو منتحل أو إثبات أية زيادات طرأت ومن هو صاحب الزيادات. هذا هو المنهج المتبع في كتاب حنين ومدرسته، وهو منهج مضن يتطلب صبرا ومصابرة وغراما بالتفاصيل، وكلها كانت سمات بارزة لبيرجشتريسر في معظم أعماله. ولا يكتفي بيرجشتريسر بهذا بل يستعرض أيضا بالمناقشة والتحليل أساليب الترجمة وتقنياتها من خلال الوقوف على الأدوات والحروف والأفعال المستخدمة وهي مناقشات تظهر بيرجشتريسر متضلعا باللغة العربية عارفا بشعابها النحوية والبلاغية.

في كتاب «حنين ومدرسته» يستعرض بيرجشتريسر مؤلفات حنين وترجماته إلى جانب مؤلفات حبيش بن الحسن وعيسى بن يحيى وترجماتهما. وفيما يتعلق بحنين بن إسحاق فقد استعرض بيرجشتريسر سبعة مؤلفات وتسع ترجمات: أما المؤلفات فهي «كتاب المسائل في العين» وكتاب المولودين وكتاب في الضوء وحقيقته وكتاب في كيفية إدراك حقيقة الديانة «ورسالة فيما أصابه من المحن والشدائد ونوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء «وملاحظات حنين حول أبقراط وجالينوس. وأشار إلى ما نشر من قبل مستشرقين غيره لاسيما مايرهوف والفرنسي شايكو، ثم إلى صيغ مختلفة لبعض العناوين مثل «كتاب المولودين. وهي مسائل ألفها حنين بن إسحاق المتطبب للسيد أمير المؤمنين وشرح فيها معاني أبقراط في كتابه الموسوم بـ: «المولودين لثمانية أشهر» ثم يستعرض عناوين متعددة تدور حول الولادة المبكرة وهي: «فيمن ولد لثمانية أشهر على طريق المسألة والجواب ألفه لأم ولد المتوكل» أو «كتاب المولودين لستة أشهر. مقالة عمله لأم المتوكل» وهكذا. وفيما يتعلق بترجمات حنين يستعرض بيرجشتريسر المتوافر لديه وهي تسع ترجمات. وفي الكتاب يناقش بيرجشتريسر أيضا نسبة بعض المصنفات لأكثر من مؤلف ونسبة ترجمة هذا المصنف أو ذاك لحنين أو غيره، وهو يناقش بشكل خاص العلاقة بين ترجمات حبيش بن الحسن وتصويبات حنين

ويصل من ذلك إلى أن حنينا كان يقوم بتصويبات لبعض تلامذته ومنهم حبيش لاسيما في موضوعات التشريح وهو ما يعزز صورة حنين أستاذا متميزا للترجمة.

وفي الكتاب الثاني والثالث يقدم بيرجشتريسر مساهمته البارزة في مشوار معرفة ما الذي ترجم بالضبط من كتب اليونان؟ وذلك بنشره لأول مرة رسالة كتبها حنين بن إسحاق إلى صديقه علي بن يحيى المنجم أحد محبي العلم وكبار موظفي بلاط المتوكل وممن كان يكلف المترجمين بالترجمة له[1]. و سنستعرض هنا الكتابين معا لأن الثاني يعد استكمالا وتصويبا للأول. الأول بعنوان[2] «حنين بن إسحاق: حول ترجمات حنين لكتب جالينوس إلى العربية والسريانية» صدر عام 1925، وكتاب «مصادر جديدة حول ترجمات حنين بن إسحاق لكتب جالينوس»[3] صدر عام 1932. وتكمن أهمية الرسالة التي حققها ونشرها بالعربية إلى جانب ترجمة ألمانية لها، في أنها تكشف جملة العلم الإغريقي الذي انتقل إلى عالم الإسلام عبر السريانية والعربية، ليس ما يخص جالينوس فقط بل أبقراط أيضا من خلال ترجمة شروح جالينوس لكتابات أبقراط.

---

(1) أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم نادم المتوكل من خاصة ندمائه ومتقدمهم عنده وخص به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد وكان راوية للأشعار والأخبار شاعراً محسناً. مقدماً عند الخلفاء يجلس بين يدي أسرتهم ويقصون إليه بأسرارهم ويأمنونه على أخبارهم وتوفي سنة خمس وسبعين. ( ابن النديم، الفهرست، 1978). كما أن له ذكر متفرق عند ابن النديم متعلق بشراء كتب أو بترجمات عملت له من حنين بن إسحاق وثابت بن قرة. للتمثيل على اهتمامه بالكتب والترجمة، وأنه كان يكلف المترجمين للترجمة له، انظر مطلع كتاب الهندسة لأرخميدس وفيه كتاب في الأصول الهندسية لأرشميدس، نقله من اليونانية إلى اللغة العربية لأبي الحسن علي بن يحيى مولى أمير المؤمنين ثابت بن قرة المتوفى سنة ثمانية وثمانين ومائتين من الهجرة.

(2) Bergstäßer, (1925) Hunain Ibn Ishaq: Über die Syrischen und Arabischen Galen-übersetzungen, Leipzig. Genehmigter Nachdruck, Kraus Reprint LTD Nenddeln, Leichtenstein 1966.

(3) Bergstäßer. (1932). Neue Materialien zu Hunain Ibn Ishaq's Galen-Bibliographie, Leipzig. Genehmigter Nachdruck, Kraus Reprint LTD Nenddeln, Leichtenstein 1966.

هذه الرسالة مكنت المهتمين من تصويب معارفهم السابقة حول ما ترجم بالضبط من اليونانية إلى العربية والسريانية تحديدا، وكشفت أن ما لم يكن معروفا من الترجمات أهم مما كان قد علم عبر الجهود السابقة. وفوق ذلك فإن الرسالة تصور روح العصر العلمي وتطور الترجمة وجملة أمور متعلقة بالعلم وتلقيه وفهرسته، وقد كانت موضع درس وتحليل من قبل الطبيب المستشرق مايرهوف (مر ذكره) كما سيتناولها أيضا بالدرس والتحليل المستشرق المعاصر شتروماير الآتي ذكره. أما بيرجشتريسر فقد اكتفى بالتحقيق والترجمة ودراسة النص لغويا، ولم يقدم سيرة لابن إسحاق ولا تعريفا بعلي بن يحيى الذي وجهت إليه الدراسة، لقد كانت عناوين الكتب ومحتواها هي مدار جهده.

عثر بيرجشتريسر على هذه الرسالة في مكتبة آيا صوفيا في إسطنبول عام 1918 برقم 3631 واستنسخ لنفسه نسخة عما قال حينها «إنها النسخة الوحيدة»، وبسبب أحوال الشهور الأخيرة من الحرب العالمية الأولى واضطراره العودة إلى ألمانيا لم يتمكن من مقابلة نسخته هذه بأي نسخ أخرى أو أصول. وقبل الوصول إلى النص المترجم يقدم بيرجشتريسر المعلومات الضرورية المتعلقة بالنص المحقق والمترجم من حيث عدد الأوراق وحجمها ولونها وخطها، ويذكر أن المخطوطة ليست مؤرخة ويرجح انحدارها من القرن السابع/ الثامن الهجري، ثم يستعرض خلاصة مقارناته النصية بين هذه الرسالة وما ورد عند ابن أبي أصيبعة (600–668/ 1202–1270) ويشير إلى أسماء الكتب وما أخذ ابن أبي أصيبعة منها وما ترك من الأسماء. وتستمر المقارنات ويخلص إلى أن هناك تطابقا بين نسخته وبعض منقولات ابن أبي أصيبعة مما يعني أن هذه الرسالة كانت في متناول المؤلفين يأخذون منها لمؤلفاتهم ما يناسب أغراض التأليف عندهم، ومنهم على سبيل المثال ابن النديم (ت 438/ 1047) صاحب الفهرست أو القفطي (568– 646/ 1172–1248) في كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» ويرى أن القفطي غير بعض العناوين وترك ما لا يريده، وابن النديم خلط بين

الترجمات العربية والسريانية. ثم يناقش غلبة الترجمة أولا إلى السريانية ثم تحولها إلى العربية وأن هذا الوضع هو مصدر أغلاط نسبة المترجمات للعربية أو السريانية.

وأوضح بيرجشتريسر أن النسخة التي ينشرها فيها زيادات بعضها لا يمكن نسبتها لحنين وأحد أدلته على ذلك هي وجود البسملة في مفتتح المخطوط والتي يستحيل أن تنحدر من قلم مسيحي كما يرى، أما الزيادات الأخرى فحنين نفسه يشير إليها في الرسالة وأنه بدأ بها عام 241 للهجرة ثم روجعت وزاد عليها بعد ثمان سنين 249 للهجرة. ثم يحاول التعرف على الزيادات غير المنسوبة لحنين من خلال خلل في بناء الفقرات أو المعلومات الزمنية المتعلقة ببعض الأسماء ويذكر أنه سيضع هذه الزيادات بين أقواس تعريفية ويختم بالاعتذار لعدم إيراد سيرة لحنين ثم يورد النص العربي متبوعا بالترجمة الألمانية.

وفي الكتاب التالي الذي أصدره بعد سبع سنوات من تاريخ صدور الأول، أي عام 1932 بعنوان «مصادر جديدة حول ترجمات حنين بن إسحاق لكتب جالينوس» تظهر ثانية حنكة بيرجشتريسر اللغوية وغرامه العلمي بالتفاصيل. والباعث على تأليف هذا الكتاب هو اكتشاف نسخة جديدة من رسالة حنين بن إسحاق المنشورة في كتابه الأول عام 1925 وفيها ملحق بعنوان «مقالة لحنين بن إسحاق في ذكر الكتب التي لم يذكرها جالينوس في كتبه». عثر على هذه النسخة المستشرق ريتر Ritter[1] في نفس المكتبة التي عثر فيها بيرجشتريسر على نسخته الأولى، مكتبة آيا صوفيا بإسطنبول تحت رقم (3590) ثم قام الطبيب والمستشرق مايرهوف بتفحص هذا الملحق وإرسال نسخة مصورة عنه لبيرجشتريسر، فما كان من الأخير إلى أن قام بزيارة إلى إسطنبول بدعم من إحدى المؤسسات العلمية وصور المخطوط الجديد ثم أخضعه للدرس

(1) ريتر مستشرق ألماني، اهتم أيضا بمسارات الأفكار وتاريخ العلم، وله كتاب بالاشتراك مع زميل له هو ريتشارد فالتسر بعنوان «الترجمات العربية للأطباء اليونان في مكتبات أسطنبول» انظر هامش رقم 10.

والمقارنة مع المخطوط الأول المنشور. ومن بين خلاصاته أن هذه النسخة الجديدة تشكل مراجعة أخرى من مراجعات حنين لرسالته الخاصة بما ترجم من كتب جالينوس. فالرسالة الأولى كتبت حوالي العام 241 وروجعت وضمنت الزيادات عام 249 للهجرة، وهي النسخة التي حقق ونشر في كتابه الصادر عام 1925، وتعد هذه النسخة مراجعة أخرى يرجح أنها تمت بين عام 249 والعام 260 وهو العام الذي توفي فيه حنين بن إسحاق وتكمن أهميتها في تمكين الدارس من متابعة الزيادات التي طرأت على القائمة في السنين الفاصلة. وهذا يعني كما يذكر بيرجشتريسر أنه أمام عمل جديد، وعليه فإن المقارنات القائمة بين النسختين لا تخدم تصويب إحداهن على أساس أخرى بل تصويب المعلومات الواردة بناء على الأرجح نظرا للمراجعات التي تمت في النسخة الأخيرة. وصف بيرجشتريسر المخطوط الجديد حجما وورقا وخطا وذكر أنه إجمالا أسوأ حالا من السابق، وهو بلا تاريخ، ويرجح تاريخ نسخه إلى القرن التاسع الهجري، وأنه مثل سابقه خضع لمراجعات وزيادات. ويمكننا الآن تصور الجهد المبذول للمقارنة بين المخطوطين لاسيما وأن مستوى الدقة التي يعمل بها بيرجشتريسر جعلته يقف عند مجموعة هائلة من الصيغ النصية للمقارنة والإيضاح والاستخلاص وإثبات الفروق بين النسختين بما وسعه من إيضاحات، وقد تمت المقارنة في هذا الكتاب الجديد ليس فقط بين مخطوطين وتصويب أخطاء النسخة الأولى التي ظهرت في سياق المقارنة بل بينهما وبين الأصول اليونانية المتوافرة والمصادر التاريخية والمراجع الحديثة.

وأهم ما أثبته من خلاصات حول المخطوطين هي أن المحتوى العام للمخطوطين واحد، لكن هناك ثغرات وأخطاء ظهرت من خلال المقارنة لصالح المخطوط الجديد، وقد أشار إلى جميع التصويبات اللازمة سواء تعلق الأمر بالصيغ اللغوية لبعض العبارات أو الإملاء أو رسم الأسماء أو بالأخطاء التي ظهرت في نسخته المنشورة، مع تأكيده على أن هذه التصويبات ليست قادحة في صورة النص المنشور.

ولا يجد المرء إلا التبجيل لهذا الجهد والثناء على هذا الحس العلمي العميق والصبر والمثابرة في تتبع الفروق بين سطور النسختين والمصادر الأخرى لترجيح الأصوب ولتستقيم قائمة جالينوس بهيئة علمية يمكن الوثوق بها والبناء عليها. ثم ختم مقارناته وملاحظاته واستخلاصاته بنشر الملحق المضاف للنسخة الجديدة المكتشفة بالعربية وبترجمة إلى الألمانية. ويعد هذان الكتابان من أكثر الكتب اقتباسا من قبل الدارسين لتاريخ العلم ولحنين بن إسحاق تحديدا. ومن هؤلاء الدارسين نذكر على وجه الخصوص شتروماير.

**شتروماير** G. Strohmaier **وحنين بن إسحاق**

شتروماير مستشرق معاصر، (1934-...) مهتم بتاريخ الطب وبالعلم الإغريقي في الثقافة العربية وتطورها، كتب كتبا وبحوثا علمية ومقالات حول ابن سيناء والبيروني ونجوم عبد الرحمن الصوفي، كما كتب حول استجلاب الغرب اللاتيني للعلم العربي وعن تراث الإغريق في عالم الإسلام، ويعد أحد أبرز المعاصرين المشتغلين بمسار العلم الإغريقي في ثقافة الإسلام ومنها إلى الغرب اللاتيني. وآخر كتبه صدر عام 2009 بعنوان « علوم الطبيعة القديمة في إهاب شرقي». عمل شتروماير في جامعات برلين بألمانيا الشرقية (سابقا) وهو الآن أستاذ شرفي في معهد الاستشراق بجامعة برلين الحرة. قاده البحث في التراث العلمي الإغريقي العربي إلى الانشغال بحنين بن إسحاق فكتب عدة أبحاث حول ترجماته مستفيدا من أبحاث سابقيه حول حنين بن إسحاق لاسيما أبحاث بيرجشتريسر، كما استفاد بشكل خاص من الرسالة التي نشرها بيرجشتريسر عام 1925 بشأن ما ترجم حنين بن إسحاق من كتب جالينوس إلى السريانية والعربية. أخضع شتروماير هذه الرسالة للدرس والاستخلاص فاستخرج منها كما من المعلومات مكنته من الإجابة عن جملة أسئلة علمية ارتأى وضعها من وحي تلك الرسالة.

نشر شترومایر أبحاثه حول حنين بن إسحاق في دوريات متعددة، ثم جمعت في كتاب واحد لتسهيل الحصول عليها نشر عام 1996 بعنوان: من ديموقريطس إلى دانته: حفظ التراث القديم في الثقافة العربية، Von Demokrit bis Dante: Die Bewharung antiken Erbes in der Arabischen Kultur. ضم الكتاب أكثر من ثلاثين مقالة متنوعة سنركز نحن هنا فقط على ما يخص حنين بن إسحاق منها وهي عدة مقالات تحمل العناوين التالية:

1) «الصابئة والسريان المسيحيون في رسالة حنين بن إسحاق عن ترجماته لكتب جالينوس».
2) «حنين بن إسحاق، عالم عربي يترجم إلى السريانية» (وهي بالإنجليزية).
3) «حنين ابن إسحاق والصور».
4) «حنين بن إسحاق وقسم أبقراط الطبي» (والمقالة بالفرنسية).
5) «هوميروس في بغداد».
6) « آلهة الإغريق في ترجمة سريانية عربية: حول كتاب الأحلام لأرتيميدو في صياغة حنين بن إسحاق».
7) « أسماء الأمم والبلدان في الترجمات العربية السريانية» وأخيرا.
8) « العربية لغة للعلم في الترجمات الطبية المبكرة».

وفي عام 2003 صدر كتاب آخر لشترومایر بعنوان: هللينيات في الثقافة الإسلامية وهي دراسات بينية حول تاريخ تقديس الأيقونات والعلم والدين : Hellas im Islam Wissenschaft und Religionsgeschichte interdisziplinäre Studien zur ikonographie, 2003 وقد تضمن الكتاب هو الآخر حشدا من الموضوعات تتعلق بصورة العلم الإغريقي في الثقافة الإسلامية، ويخص حنين بن إسحاق منها عنوانان هما: «جالينوس العربي والسرياني»، و«المدارس المسيحية في بغداد وطرق تعلم كتب جالينوس في مدرسة الإسكندرية».

## شتروماير وحنين بن إسحاق في: من ديموقريطس إلى دانته

أول الملاحظات التي تستحق الإبراز هي حرص شتروماير على تقديم سيرة وافية لحنين بن إسحاق معتمدا فيها على سيرته المفصلة عند ابن أبي أصيبعة، ولسنا نغالي إن قلنا: إن هذه السيرة قد تم تفحصها حرفا حرفا من قبل كل من هيرشبيرج ومايرهوف وبيرجشتريسر وشتروماير، لكن الذي اهتم بعرض هذه السيرة هما فقط مايرهوف وشتروماير. في هذه السيرة التي تكرر في كثير من الموضوعات وبنسب مختلفة يتم إبراز نسب حنين العربي ودينه المسيحي ومذهبه النسطوري، ثم بدايات تعلمه على يد يوحنا بن ماسويه وقصة طرد الأخير حنينا من حلقة علمه بسبب كثرة أسئلته، ثم يختفي حنين فترة ويظهر لوقت قصير ويختفي ثانية ثم يعود إلى بغداد أستاذا للترجمة وطبيبا ومعلما فيبز أقرانه ومعلمه السابق الذي يصطلح معه بعدئذ ويبدأ مشواره العلمي وهو في سن السابعة عشرة ويدرك الأيام الأخيرة من خلافة المأمون ويعاصر عشرة من الخلفاء، وتحيط به الشدائد والحساد بقدر نجاحه وقربه من الخلفاء العباسيين. كما تحضر سيرته عند ابن أبي أصيبعة بأدق تفاصيلها إن تعلق الأمر بتتبع ترجماته ومؤلفاته. وكان مايرهوف قد أنجز بحثا بالإنجليزية حول محتوى رسالة حنين إلى علي بن يحيى السالفة الذكر (مر ذكره)، لكن شتروماير أنجز عدة أبحاث في الألمانية ذات صلة بمحتوى هذه الرسالة، الغنية بالفوائد العلمية الكاشفة لروح العصر في مستويات مختلفة، ورغم استفادة شتروماير من معظم الدراسات السابقة ذات الصلة إلا أن بحث مايرهوف المشار إليه لم يكن بين مصادر شتروماير، وهناك تداخل وتكرار في بعض الاستخلاصات التي استخرجها كل من مايرهوف وشتروماير، لكن شتروماير استقل بموضوعات خاصة به تبرر القول بأنه الأكثر استعمالا لرسالة حنين في موضوعات متفرقة.

فضمن عنوان: «الصابئة والسريان المسيحيون في رسالة حنين»[1] Sabische und christliche Syrer in Hunains Sendeschreiben über die Galenübersetzungen يتتبع شترومایر بالتفصيل عدد ما ترجم حنين عن جالينوس ولمن ترجم للعربية والسريانية، إلى جانب مناقشات حول إمكانية وجود ترجمات لجالينوس إلى العربية قبل حنين بن إسحاق، وفي هذا السياق يذكر ثابت بن قرة وترجماته لبني موسى بن شاكر وغيرهم. وفي بحثه المنشور بالإنجليزية بعنوان: «حنين بن إسحاق، عالم عربي يترجم إلى السريانية»[2]، تصادفنا أيضا سيرة موجزة لحنين بن إسحاق، وتعريف مقتضب لعلي ابن يحيى بن المنجم، الذي كتبت له رسالة حنين عن ترجمات جالينوس، وأنه رجل علم وداعم لحركة الترجمة في القرن التاسع الميلادي ومن كبار موظفي البلاط زمن المتوكل. أما ما يستحق الإبراز حقا هو إشارة الكاتب إلى ميل في كتابات الاستشراق الأوروبية للتشديد على حقيقة أن كثيرا جدا من العلماء البارزين المشتغلين بالعلم الإغريقي لم يكونوا عربا، وتستخلص تلك الكتابات بناء على ذلك فكرة (عنصرية) مفادها أن العرب تعوزهم موهبة التفكير العلمي والإبداعي. لكن شترومایر يدحض هذه الفكرة بقوله «يمكن ببساطة دحض هذه الفكرة حتى من خلال إعطاء لمحة خاطفة لتاريخ العلم العربي والفلسفة العربية، فرغم غلبة الشعوب الإسلامية على العرب عدديا إلا أن العرب أنتجوا نصيبهم العادل من علماء مهمين في حقول المعرفة المختلفة»[3]. ثم يستشهد للتدليل على ذلك بموهبة حنين بن إسحاق وعبقريته بوصفه عربيا نسطوريا لعب دورا رياديا في الترجمة ونحت لنفسه موقعا مميزا في تاريخ علم الطب، ويفترض

(1) Strohmaier, (1966): Hunain ibn Ishaq- an Arab scholar translating into syriac. In Von Demokrit bis Dante: Die Bewharung antiken Erbes in der Arabischen Kultur. Georg Olms verlag, Hildesheim. Zürich. New yourk 1996, (pp. 193-198).

(2) Strohmaier, 1996/199-206.

(3) Strohmaier, 1996/199.

شترومایر أن حنينا نشأ بلغتين منذ صباه، العربية وهي لغته الأم، والسريانية، وقد تعلمها لغة للطقوس الدينية في مدارس المذهب النسطوري، لاسيما وقد عمل شماسا في أحد الكنائس كما يذكر مصدر كنسي[1]. وباقي البحث سرد مفصل لسيرته الشهيرة كما ترد عند ابن أبي أصيبعة، ثم علاقة العربية بالسريانية في الترجمات المختلفة وما الذي كان ينقل من السريانية إلى العربية أو ما ينقل مباشرة من اليونانية إلى العربية وارتباط ذلك بتراجع الثقافة السريانية بالتدريج أمام العربية الناهضة، ثم يعرج بسرعة على تقنيات الترجمة التي ابتدعها حنين وترجماته لأسماء الأمم والآلهة.

وفي مقالته حول «حنين بن إسحاق والصور»[2] Hunain Ibn Ishaq und die Bilder يناقش الكاتب موقف حنين بن إسحاق من ظاهرة الموقف من صور السيدة مريم وابنها السيد المسيح والمعروفة بـ(الأيقونات)، وذلك من خلال حكاية ترد على لسان حنين نفسه يوردها ابن أبي أصيبعة ضمن أخبار حنين في مؤلفه، وفيها يتحدث عن مكيدة أوقعه فيها غريمه الطبيب جبريل بن بختيشوع في حضرة الخليفة المتوكل خلاصتها استهانة حنين بالأيقونات وبصقه عليها وغضب الخليفة من ذلك ومعاقبته عليها بالضرب والسجن ستة أشهر بلياليها بعد استشارته لكبير أساقفة دهره «ثيوديسيوس» الذي أصدر ضد حنين قرار حرمان كنسي. يمضي حنين، حسب الرواية أيام سجنه مهموما مغموما بمصيبته وكيد الكائدين، ثم يفرج عنه بعد أن كاد الخليفة يأمر بقتله، صبيحة منام رأى فيه الخليفة السيد المسيح يأتيه مستشفعا لحنين الذي وقف خلفه في المنام. ثم يناقش الكاتب أصالة هذه الحكاية كما وردت وهل يمكن نسبتها لحنين أم ربما لتلاميذه فيما بعد؟ ويستعرض في هذا السياق آراء بيرجشتريسر المؤيد

(1) Graf, Georg, (1949): Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur, Bn 2: Die schriftsteller bis zur Mitte des 15 Jahrhunderts, Citta del Vaticano, Biblioteca Apostellica Vaticana MCMXLV11. (p 122).

(2) Strohmaier, 1996/207-215

لأصلية النص ونسبته لحنين فيما يرفض روزنتال قطعيا تاريخية هذه الحكاية وأصالة الرسالة ويقدم حججا وتساؤلات تؤيد موقفه، ويذهب شترومایر مذهب روزنتال غير أنه يرى أن أجزاء من هذه الرسالة تعكس مواقف واقعية وكلمات أصلية لحنين مع ذلك، لكنه يفترض أنها ركبت من بعض تلامذة حنين بعد موته، ثم يستفيض في مناقشة الخلفيات التاريخية لظاهرة الموقف من الأيقونات بتياريها المؤيد والرافض، وعلاقة حنين بهذا الجدل الوارد من بيزنطة ويتم التأكيد على أن حنينا كان من أتباع التيار الرافض لتقديس الأيقونات واعتبارها مجرد صور، لكنه إجمالا يقر بالأثر التربوي الحسن للصور دون تقديسها، ويستخلص شترومایر أن مواقف حنين العقلانية هذه ليست متأثرة بأي تيار ديني معاصر بل بعشرته الطويلة مع الفكر اليوناني العقلاني العلمي الطبي الذي طهر الفكر منذ أبقراط من كل شوائب السحر والشعوذة.

وفي مقالته بعنوان: «هوميروس في بغداد» Homer in Bagdad[1] يناقش شترومایر سؤالا أساسا واحدا هو ما مقدار ما كان يعرف حنين من شعر هوميروس؟ وخلاصة الاستعراض التاريخي الموجز هو أن حنينا كان يعرف أشعار هوميروس وبعض تفاسيرها ويستشهد بها أيضا هنا وهناك، وهي الأشعار المضمنة في ملحمة «الإلياذة»، لكن هوميروس بإلياذته، كما يؤكد شترومایر، ظل مع ذلك مجهولا في عالم الإسلام؛ إذ لم يبدأ الاهتمام بالأدب الملحمي والملاحم الوطنية للشعوب إلا في عصر الرومانسيات الأوروبي ومنه بعد ذلك إلى العالم العربي.

وفي بحث مطول بعنوان: «آلهة اليونان في ترجمة عربية سريانية: حول كتاب الأحلام لأرتيميدو في صياغة حنين بن إسحاق»[2] Die Grieschichen Götter in einer christlich-arabischen Übersetzung: zum Traumbuch des Artemidor in der

(1) Strohmaier, 1996/222-226.

(2) Strohmaier, 1996/227-262.

Version des Hunain Ibn Ishaq تظهر إشكالية الترجمة[1] حين تتصادم المعتقدات، كما تظهر حيل المترجمين في مواءمة النص المترجم مع المعتقدات السائدة، والبحث شائق جدا؛ لأنه يوقفنا على الحلول التي ابتكرها حنين كي لا ينقل إلى السريانية والعربية أفكارا شركية، وهنا لم تناقش أمانة الترجمة بل حيلة المترجم في تمويه ثقافة الآخر ومعتقده لتتواءم مع ثقافة ومعتقد الثقافة المستقبلة. كتاب الأحلام لأرتيميدو مملوء بأسماء الآلهة اليونانية وبمفردات الثقافة التي تعد شركية في الإسلام ومنافية للمعتقد المسيحي أيضا. ويبدأ شتروماير في عرض استقبال التراث الإغريقي بشركياته في الثقافة السريانية قديما وكيف طورت في إطار الترجمات تقنيات تمويه وتعمية لمفردات الثقافة المنقولة غير المرغوب فيها؟ ويبدو أن فكرة المواءمة الثقافية للمترجمات كانت سائدة ومقبولة من القديم، لاسيما في الغرب اللاتيني المسيحي وبيزنطة عند ترجمات أشعار الأقدمين واحتكاكهم من ثم بالأساطير الوثنية. ويشير شتروماير إلى أن الترجمات التي قام بها حنين للمؤلفات الطبية والفلسفية لم تشتمل على آلهة لها فعل ما بسبب طبيعتها العقلانية، لكنها لم تختف نهائيا من كتابات جالينوس مثلا. وللتعرف المباشر على طرق التعاطي مع ما لا يقبل ثقافيا وعقائديا في الثقافة المستقبلة يخضع شتروماير للدرس والمقارنة كتاب تفسير الأحلام لأرتميدو بنسخته اليونانية الأصلية وصيغته العربية التي أنجزها حنين بن إسحاق.

---

(1) هناك مقالة كتبها مانفرد أولمان Ulman. M بعنوان «هل ترجم حنين كتاب تفسير الأحلام لأرتيميدو؟» War Hunain der Übersetzer von Artemidors Traumbuch ونشرت عام 1971 في دورية عالم الإسلام Die Welt des Islams المجلد 13. وليست هذه المقالة الآن ضمن المتوفر لدي ولا أعلم ماهي النتيجة التي توصل إليها أولمان من خلال تساؤله، وأغلب الظن أن شتروماير اطلع عليها، لكنه لم يناقش شيئا عن نسبة الترجمة العربية لحنين بل جعل ترجمته للكتاب جزءا من العنوان كما نرى، وهو ما يعني يقينه بأن حنينا هو المترجم للكتاب المذكور.

وجود هذين الأصلين يسمح بالضبط بمعرفة المدى الذي ذهبت إليه التكييفات أو التمويهات أو أيضا المتروكات، وليس بالإمكان هنا تتبع كل الأمثلة الموردة على أهميتها ودلالاتها الثقافية وطرافتها أحيانا، إلا أن أمثلة منتقاة سنستعرضها تكفي لعرض حنكة حنين بن إسحاق وثقافته في المواءمة بين النص المترجم والثقافة المستقبلة. ويجمل شترومایر الموضوعات الصادمة للثقافة المستقبلة بالآتي: الشرك عامة، أو وقائع محددة تعرض للآلهة مع عائلاتها، الفروق الجنسية للآلهة ومراتبها السامية، أو مقولات ذات طابع وثني صريح. ومن خلال تتبعه لمواضع التحوير والإبدال يضع تساؤلا هو هل تتم هذه التغييرات في الترجمة قصدا وعمدا أو أن الجهل بالمحتوى هو السبب؟ ويقول: إن لديه أمثلة تؤيد فكرة أن بعض تغييرات تمت كان أساسها الجهل بالمعنى، لكن الغالب هو تعمد التمويه. وقد ختم شترومایر بحثه بمناقشة دوافع تلك التحويرات والتغييرات التي تتم قصدا وعمدا.

ومن أمثلة التحويرات التي أوردها شترومایر لحنين بن إسحاق وصف الآلهة، فحين يكون الحديث عاما عن الآلهة في كتاب أرتيميدو يستبدل حنين بالآلهة لفظ الملائكة أو الله أو الله وملائكته، وبنفس الطريقة تعامل الآلهات، وحين ترد كلمة «آلهة الأوليمب» يضع حنين بدلا عنها «ملائكة السماء» أو «ملائكة الفلك» أو «الملائكة الأثيرية». فإن ورد في الأصل أن الرجل رأى نفسه إلها في المنام تتحول عند حنين إلى «رأى نفسه ملاكا». وبهذا الصدد يشير شترومایر إلى الفرق بين هذه التحويرات وتحويرات الكنيسة التي وضعت كلمة «الجن» بدلا عن الآلهة، كما لم يضع حنين كلمة «أصنام» لتحل محل «صور الآلهة» بل وضع لها كلمتي «تمثالات الملائكة». ومع ذلك فلم تعتمد هذه التحويرات قاعدة عامة. ويشير الكاتب إلى مواضع محرجة تعرض لها حنين وهو يصادف في الكتاب عددا من الآلهة بأسمائها، فحاول التمويه بأشكال مختلفة دون أن يجعل من هذه الآلهة ملائكة، وهو ما أفلح فيه حتى الفصل الثالث من الكتاب الأول، حتى قابل قائمة طويلة بأسماء الآلهة، فاستسلم أمام هذه الصعوبة واكتفى

برسم أسماء الآلهة كما ترد بحروف عربية بوصف كل منها ملاكا. وأحيانا يضع كلمة «رجل» بدلا عن اسم إله، إما لأنه لا يعرف أن الاسم لإله أو لأن المشهد لا يستقيم مع فكرة التوحيد، وقد فعل هذا حين عرض أرتيميدو لرجل رأى نفسه يأكل مع «كرونوس»، وهو أحد الآلهة، فحورها حنين إلى رجل رأى نفسه يأكل مع «رجل»، وحين ترد «افروديت» آلهة اللذة يضع حنين مكانها كلمة «الشهوة»، وهو ما يدل على معرفة حنين ليس فقط بلغة اليونان بل بثقافتهم ورموزها، يظهر ذلك أيضا حين يرد ديونوسس Dionysos إله الخمر، يضع حنينا ببساطة كلمة «الشراب» في سياقات مختلفة يستعرضها الكاتب. وحين يرد ذكر لإله يسير مع ولديه، يتخلص حنين من حراجة الصورة، بالقول «الملاك وصحبه». وعندما يرد ذكر صريح «لآلهة الحب أفروديت رفيقة الأمم» تتحول في الترجمة إلى إله مذكر فيترجم حنين: «الملاك الذي يقال له أفروديت صاحب الأمم». وفي الأحلام التي يرد فيها ذكر للجنس أو الشذوذ متصل بالآلهة، لا يرى حنين ضرورة لتلطيف تعابيرها بل ترد كماهي مقدمة بشرح فيه «أن هذا هو الملاك الذي يرقد على النائم ويضغطه»، وحين يحلم شخص بأنه يعاشر آلهات تظهر الآلهات عند حنين ذكورا. وعند ما ترد في الأحلام بعض الطقوس الوثنية وكهنتها يبحث حنين عن تكييفات من محيطه الإسلامي أيضا، وهكذا يترجم مفردة Priester وهي تعني الكاهن بـ«الإمام»، حتى «الكهنة الصلع» لآلهة المصريين القدماء يجعلها حنين «الأئمة من أهل مصر»، لكنه يتوقف بعد ذلك عن استخدام كلمة إمام ويضع مكانها كلمة «كاهن»، وحين يتصل الحلم بالأضاحي المرتبطة بالعرس أو الأعياد يجد حنين في أضاحي المسلمين في الحج متكئا فيقول «أيام الأضاحي».

ويستمر شترومایر في تتبع التكييفات المتبعة عند حنين في موضوعات تفصيلية ويعرض لأمثلة تحفظه في موضوع صلة الآلهة بالبشر في الحلم والواقع، أو تحفظه إزاء توقير الملائكة كأنهم آلهة، والتنبيه على الأسطورة بزيادات من عنده كي لا يقع القارئ في أسر السرد، أو استعمال المعتقدات الشعبية الجارية كمقابلات للأرواح الشريرة

الواردة عند أرتيميدو. ولا تقتصر تكييفات حنين وتأويلاته على عالم الآلهة بل تشمل الأديان وقيمها وعالم الأموات اليونانية (هادس) وتفسيرات بعض الأحلام كأن يرى المرء ميتا تعود إليه الحياة وأن هذا يعني الخسران، لكنه يترك تفسير التفسير وهو أن الخسران آت من مطالبات الأموات بأموالهم. وكلها تكييفات لها ملامح عقيدة التوحيد ويمكن ببساطة أن تنحدر من قلم مسلم أيضا، ومع ذلك، يضيف شترومایر، يمكن من خلال بعض الأحلام المتصلة بالصلب في المنام تبين أن المترجم مسيحي.

يناقش شترومایر بعد ذلك سؤالا منهجيا وهو هل تكييفات النصوص الدينية تمت عن عمد أو عن جهل بالأساطير القديمة وطقوسها؟ وبعد مقارنات واستشهادات يخلص إلى أن حنينا كان واعيا بمعظم التغييرات التي شملتها معظم النصوص وأن مواضع قليلة فقط هي التي ترجع في تكييفاتها إلى جهل محض بالأساطير القديمة وطقوسها[1]. ثم ينتقل إلى سؤال آخر متعلق بالدوافع التي جعلت حنينا يقوم بكل هذه المواءمات في ترجمته؟ ويخلص بعد مناقشات واستشهادات إلى ثلاثة دوافع محركة هي: القلق على صورة الكتاب اليونانيين، ومراعاة مشاعر الأوساط الدينية المتزمتة ثم تحسين صورة المسيحية في عيون المسلمين. ويضيف، مستعينا بترجمات حنين الأخرى، أن حنين بن إسحاق كان لا ريب واقعا تحت ضغط إثبات أن الوثنية لا تشكل عنصر بناء في العلم اليوناني[2]. ومن خلال تتبع تكييفاته، لتجنب إعطاء أي انطباع بوثنية العلم اليوناني، يصل شترومایر إلى حكم قاس يتهم فيه حنينا بتشويه بعض المواضع إلى درجة لا يمكن معها فهم مقصود النص الأصلي لو كان ضائعا. هذا هو الحكم القاسي الوحيد بحق حنين في سياق المدح والتوقير الذي يلقاه من جميع الكتاب، لاسيما هؤلاء الألمان الذين يشهدون له بحذق كبير للفيلولوجيا (علم فقه اللغات) وأنه قريب جدا

(1) Strohmaier 1996/235.

(2) Strohmaier 1996/256-57.

من منهجهم المعاصر، وأحرى بهم في الواقع أن لا يسقطوا حكم زمانهم عليه بل يرونه رائدا لهذا العلم من خلال علاقته بالنصوص والمخطوطات التي يمتدحونها.

واستكمالا لهذا الموضوع نشير إلى بحث بعنوان «أسماء الأمم والبلدان في الترجمات اليونانية والعربية»[1] Völker-und Landernamen in der Grieschich-arabischen Übersetzungsliteratur يناقش فيه شتروماير كيفيات التعامل مع أسماء الأمم والبلدان الواردة في الكتب اليونانية وكيف أن الترجمات العربية أحيانا استعملت الأسماء المعاصرة لها كما تواترت من العصر الوسيط المبكر، وأحيانا رسمت الأسماء بالحرف العربي كما هي، ويسوق أمثلة لذلك تتعلق بتسميات الترك والسلاف التي توضع مقابلا للفظ اليوناني «إسقوتيا» Skythen وأحيانا ترد كلمة الترك مقابلا للفظ «البرابرة» Barbaren، ثم يسوق أمثلة لها بتسميات الصقالبة والفرنجة... إلخ.

ولا يرد في هذا المقال ذكر خاص لحنين بل يرد مرة واحدة في سياق العرض العام فقط. لكن حنينا وعبقريته تظهر ثانية في بحث آخر بعنوان «العربية لغة للعلم في الترجمات الطبية المبكرة»[2] Arabisch Als Sprache der Wissenschaft in den medizinischen Übersetzungen وفيه يتتبع طرق اتساع العربية عبر المترجمين ويطلق حكما مفاده أن عملية بناء لغة عربية علمية إنما تمت على أيدي المترجمين. وقد كان التحدي الذي واجه اللغة العربية ليس في بنائها وقواعدها بل في معجمها غير المشتمل على الاصطلاحات المستخدمة في العلم الإغريقي، وهو تحد قديم جديد، ثم يبرز دور حنين الرائد في إثراء العربية بمصطلحات مبتكرة عربية خالصة أو باستخدام الشائع من التسميات العامة وتحويلها إلى اصطلاح طبي تثبت فعاليته، وهو يرجع موهبة حنين الابتكارية هذه إلى كونه عربيا متضلعا بالعربية عارفا بأساليبها البلاغية وإلى سعة

(1) Strohmaier, 1996/272-277.

(2) Strohmaier, 1996/263-271.

اطلاعه وأصالة ثقافته ويسوق أمثلة للمقارنة بينه وبين مترجمي عصره وغيرهم ليجعله في الصدارة منهم.

## شتروماير وحنين بن إسحاق في «هللينيات في الثقافة الإسلامية»

هذا الكتاب يتضمن موضوعات متنوعة حول استقبال الثقافة الهللينية في الثقافة الإسلامية، ويمكننا تصور أن حنينا حاضر بصورة ما في معظم موضوعات الكتاب، لكنا سنقتصر هنا على ما له صلة مباشرة بحنين بن إسحاق وهو موضوع بعنوان «جالينوس السرياني والعربي»[1] Der syrische und arabische Galen. وفيه تكرار لكثير من المعلومات الواردة حول حنين ورسالته الشهيرة إلى علي بن يحيى والمبثوثة في المقالات التي استعرضناها سابقا.

في إطار هدف شتروماير تتبع التراث العلمي لجالينوس في الترجمات السريانية والعربية، يرسم شتروماير إطارا تاريخيا واسعا لمعرفة الطريق الذي قدم منه تراث جالينوس إلى الشرق، وهو يتكون من زمن جالينوس وتكونه العلمي وصلته بما سبقه من علوم، ثم ازدهار مدرسة الإسكندرية واتخاذها كتب جالينوس أصلا للتدريس والتدارس، ثم انتقال مركز العلم تدريجيا من الإسكندرية إلى مدرسة جنديسابور في الطرف الجنوبي الغربي لإيران اليوم، وازدهار ترجمة علوم اليونان إلى السريانية قبل الإسلام بزمن طويل. أما الإطار التاريخي الذي يرسمه شتروماير مرتبطا بأعمال حنين بن إسحاق فيتمثل في: وقوع مراكز العلم القديمة تحت السيادة الإسلامية من خلال الفتوح، ثم الانفتاح الإيجابي على العلوم القديمة واليونانية منها بخاصة، وموقف خلفاء بني العباس من العلوم القديمة وتشجيعهم للترجمة، ثم تفوق الثقافة السريانية أول الأمر وسيادتها على المشهد العلمي، وتغير هذا الحال لاحقا، وفي الفترة العباسية

(1) Strohmaier, 2003/85-106.

تحديدا، لصالح العربية، فانحسرت بالتدريج الثقافة السريانية وغدت العربية لغة للعلم والإدارة بل والتواصل اليومي.

ومن خلال رسالة حنين إلى علي بن يحيى السالفة الذكر تمكن شترومایر من الإطلال أيضا على تطور الترجمة وطبيعة البيئة العلمية السائدة وعلى طبيعة تدارس كتب الطب في كل من مدارس الإسكندرية قديما وفي أيام حنين[1]. وفيما يخص هدفه الأساس، أي التعريف بجالينوس العربي والسرياني، قام شترومایر بتتبع للعناوين المنسوبة لجالينوس في هذه الرسالة فذكر أن هناك 126 عملا لجالينوس ترجمت إلى العربية ولها أصول يونانية، لكنه يفترض وجود أعمال أخرى لجالينوس لم تشملها قائمة حنين ولم تترجم ويستعرض أمثلة من هذه الكتابات وبعضها مما عثر عليه مايرهوف وأشار إليه في كتاباته. ولا يقف شترومایر عند هذا الحد، بل يمضي في تتبع أولئك النفر الذين كان يترجم لهم حنين، فيذكر أسماء من كان يترجم لهم إلى السريانية وإلى العربية، وأبرز من كان يترجم لهم إلى السريانية هم سلمويه، ويوحنا بن ماسويه وجبريل بن بختيشوع وولده بختيشوع وجميعهم أطباء بلاط لدى الخلافة العباسية. أما من ترجم لهم إلى العربية فأبرزهم علي بن يحيى المنجم، وهو الذي كتبت له هذه الرسالة القيمة، وزاد شترومایر في التعريف به بأن ذكر اهتمامه بالعلم وأنه جمع كتبا كثيرة وبنى مكتبة ضخمة على مساحة واسعة، وهو يتفق مع ما يذكره ابن النديم في الفهرست وأنه كان يشتري كتبا بالجملة من مكتبات خاصة[2] وثانيهم هو أبو معشر المنجم، ثم بنو موسى بن شاكر، وهم أميل إلى الأعمال الهندسية والفلكية من الطب لكن كان لهم نصيب الأسد من ترجمات حنين.

(1) Strohmaier, 2003/180-185.

(2) ابن النديم، الفهرست، 1978.

وأهم ما يلحظه شترومایر هو أن الترجمة كانت عملا عائليا يرتزق منه، ويستغرب، محقا، من انعدام ذكر بيت الحكمة في كل الرسالة كما لم تذكر أية ترجمات لأي من الخلفاء، وهو يؤسس على هذا افتراضا مفاده إما أن بيت الحكمة كانت للخاصة من العلماء ولم يكن حنين منهم، أو أنها كانت قد أغلقت. ومع وجاهة الاستغراب الناشئ عن عدم ذكر بيت الحكمة أو أي من الخلفاء، إلا أن الافتراض الذي خلص إليه عجول كما نظن، فالرسالة تتحدث فقط عن ترجمات جالينوس وليس عن كل ما ترجمه حنين، أما بيت الحكمة فقد كانت مؤسسة رسمية تأثرت لا ريب بالأحداث السياسية العاصفة زمن حنين، لكن المتوكل وهو يستعيد زمام الأمور استأنف دعمها بل عين حنينا رئيسا لها. وفي هذا السياق تحسن الإشارة إلى ما يصفه غوتاس بأن الترجمة كانت عملية اجتماعية واسعة، أي أن الجهد السياسي الرسمي كان فقط رافدا بين روافد أخر. فقصص البحث عن كتب الأقدمين لترجمتها بتكليف من المشتغلين بشؤون الطب أو العلم عامة، تظهر البعد الاجتماعي الذي تحدث عنه غوتاس، وهو بعد ينطوي على تنامي الطلب على المعارف القديمة مع قلة العرض، وربحية المردود من خلال تطوير الصناعة الخاصة والتميز بها ومن ثم زيادة الإقبال عليها وارتفاع سعرها، إنه منطق السوق (بلغة عصرنا) الذي أرخى بشروطه على النشاط المعرفي لهذه الفترة فتطور واتسع ونشأت عنه صلات بين شعوب وثقافات، وتبقى الخلافة العباسية هي صاحبة الفضل في فتح آفاق هذه المعارف ولو من خلال خلق الطلب عليها بتقديم نفسها سوقا مستهلكة مربحة.

ومن جهة أخرى أبرز شترومایر منهجية حنين العلمية، وذكر أن هناك إجماعا بين المشتغلين بتاريخ العلم على كونه فقيه لغة (فيلولوجيا رفيعا) فهو يستعرض ما يذكره حنين حول النسخ الخطية التي يترجمها وكيف يقارن بينها لاعتماد الأفضل، أو أنه يعيد الترجمة ثانية ولو بعد سنوات إن اكتشف نسخة جديدة أفضل وأكمل لمخطوط سبق له ترجمته، ويبرز شترومایر حس حنين العلمي حين يذكر نقلا عن رسالته أنه

حصل على مخطوطات وصحح منها نسخة وحيدة اعتمدها للترجمة. ويبرز شترومایر كيفيات الترجمة التي سادت قبل حنين وفي زمنه ويستعرض رأيه في ترجمات من سبقه ليظهر حنين ناقدا جيدا حتى لنفسه فهو يقارن بين ترجماته الأولى والحالية وكيف أنه أعاد ترجمة بعض أعماله القديمة بعد أن رسخت تجربته وصح قلمه. ومن تقنياته التي يشير إليها شترومایر أنه كان يستوعب النص اليوناني كاملا ثم يدخل عليه تعديلا نسبيا في الصياغات إن بدا له ذلك ضروريا لأغراض الفهم، ولا يتردد في وضع أجزاء من جمل في غير محلها واقتراح ضمائر مناسبة إن بدت له بعض الضمائر غامضة الصلة عند الترجمة. وبهذا أظهر حنين استقلالية علمية وتطويرا لتقنيات الترجمة أهلته لمدح علمي مستحق.

ويختم شترومایر عرضه هذا بشكر حنين بن إسحاق ومدرسته في ترجمة العلوم إلى العربية، لأنها اللغة التي حفظت تلك العلوم. وأن أوروبا إنما عرفت جالينوس من خلال جلبها للعلم العربي خصوصا. أما الثقافة السريانية فقد اضمحلت وكان من نتيجة ذلك فقد الكتب التي ترجمت إليها، ولم تبق إلا الكتابات العربية حافظة للعلم القديم لاسيما وهناك قدر من الأعمال اليونانية مفقودة الأصل كلية.

## حنين بن إسحاق وعلم الأرصاد

ويرد حنين بن إسحاق أيضا في رسالة ماجستير[1] تم فيها تحقيق وترجمة كتاب في علم الأرصاد «الآثار العلوية» بعنوان: «جوامع أبي زيد حنين بن إسحاق العبادي لكتاب أرسطوطاليس في الآثار العلوية». هذا الكتاب يقدم نصين عربيين منسوبين لأرسطوطاليس حول الآثار العلوية أو علم الأرصاد. النصان العربيان منسوبان لحنين

(1) Deiber Hans, (1975): Ein kompendium der aristoteischen meterologie in der Fassung des Hunain ibn Ishaq. North Holland publishing, Amsterdam, Oxford. (pp. 1-8).

ابن إسحاق، وقد وجد أحدهما في المكتبة المركزية في الموصل والثاني في مكتبة مجلس الشورى الوطنية بإيران. وتكمن أهمية هذين النصين في أنهما المتبقيان من آثار أرسطوطاليس في علم الأرصاد بعد ضياع النسخ الأصلية. وتتم الإشارة إلى وجود مقتطفات من هذا الكتاب ترجمت إلى السريانية، وأن الأصل السرياني للكتاب عثر عليه بعدئذ في مكتبة جامعة كامبردج، وبمقارنة النص العربي مع السرياني يشير المؤلف إلى أن الأصل السرياني يزيد بصفحاته عن النص العربي وفيه تراجم وشروح، ثم يكرر الحديث عن أهمية الترجمات السريانية والعربية في العثور على نصوص علمية إغريقية فقدت في لغتها الأصل. وهو يرى أن النسخة الحالية العربية في صياغة حنين بن إسحاق لا يمكن نسبتها كلية لأرسطوطاليس وأن تلامذته زادوا فيها على ضوء أفكار الأفلاطونية المحدثة Interpretation des Neuplatinsmus. كما أن أحد عناوين النص العربي هي: «الجمع بين الحكيمين أفلاطون وأرسطو». ثم يضع المؤلف سؤالا أساسيا هو هل هذه النسخ المختصرة المترجمة من قبل حنين هي مختصر أعده حنين أو تمت الترجمة عن أصل يوناني مختصر أو معدل عن الأصل؟ ثم يناقش مشاكل الترجمة وزوائدها على ضوء دراسات سابقة ويرى أن الزيادات ناشئة عن الترجمة أو التأويلات وهو يحتمل أن يكون المترجمون العرب قد وجدوا هذه المختصرات اليونانية جاهزة ولم يكونوا هم بالضرورة من قام بهذا الاختصار، لاسيما أن التعديلات والشروح والمختصرات اليونانية في مجال الأرصاد كثيرة جدا كما تبين دراسات سابقة أشار إليها.

ويعلق الكاتب على مفردة «جوامع...» الواردة في العنوان، ويتساءل على ضوء ذلك إن كان النص العربي ليس نص حنين بل هو من جمعه فقط أو ربما أعاد صياغة المحتوى بنفسه أو استخدم صياغة يونانية جاهزة عن أرسطوطاليس وما صلة إعادة الصياغة هذه بما قام به المترجم ابن البطريق الذي توجد له ترجمة في «الآثار العلوية». ثم يقارن بين نص حنين ونص ابن البطريق المختلف قليلا في مواضع كثيرة عن نص أرسطوطاليس، ويخلص من مناقشاته العلمية التي تهتم بالتحقق من

المادة العلمية المحققة إلى أن النص العربي المعنون بـ «جوامع حنين بن إسحاق...» يبقى دون حسم في نسبته لحنين من عدمه. أما الترجمة فيرجح الكاتب أنها تمت عن أصل يوناني مختصر.

## حنين بن إسحاق في كتابات متفرقة

نقصد هنا بالكتابات المتفرقة، تلك الكتابات العامة التي تخوض في العلوم الطبيعية ومنها الطب تحديدا، وهي كتابات لا يمكنها الاستغناء عن ذكر حنين بن إسحاق وعبقريته في الترجمة وأنه من الشخصيات العلمية البارزة في القرن التاسع الميلادي، وكثير من هذه الكتابات الثانوية تعتمد فيما تقدمه من معلومات عامة موجزة غالبا على الدراسات التي استعرضناها لاسيما مايرهوف وبيرجشتريسر. يرد حنين بن إسحاق بترجمة قصيرة في «موسوعة الإسلام الألمانية»،[1] وفيها أن سبب موته هو الغم الشديد الذي ألم به بعد حرمانه كنسيا، وقد نوقش هذا الرأي عند كتاب سيرة حنين واستبعد سببا لموته. كما يرد في الكتب العامة التي تؤرخ للطب في العصور الوسطى، مثل كتاب «المرجع في تاريخ الطب» [2]، أو كتاب «تاريخ الطب»[3]، أو «الإنجاب -الوراثة وتطور ما قبل الولادة في الطب العربي الإسلامي للعصر الوسيط»[4]، أو «كتاب التاريخ المصور للطب»[5].

(1) Encyclopädie des Islam. Band 2. 1927. (p. 357).

(2) Schurz, (1971): Die Medizin der Araber. In Handbuch der Geschichte der medizin Band 1, Herausgegeben von Max Neuberger und Julious Pagel. Georg Olms Verlag. (pp.596- 597).

(3) Lichtenhaeler, C. (1982): Geschichte der Medizin, Bd1, Deutscher Ärtze-Verlag 1982. (p. 235).

(4) Waisser. U. 1083 Zeugung Vererbung und pränatale Entwicklung in der medizin der arabisch-islamischen Mittelalter, Verlagsbuchhandlung Hannelore Lüling. (p. 27-28).

(5) Sournia. Poulet, Martiny, (1978): Illstrierte Geschcihte der Medizin, Andreas Verlag. (p. 600).

ويمكننا قطعا تسمية المزيد، لكن لا ضرورة لذلك بعد أن قدمنا حنينا في كتابات أساسية، فما يرد في الكتابات المتفرقة إنما يعد تكرارا لبعض سيرة حنين ولا جديد استثنائيا يستحق التوقف عنده للعرض والتعريف. نستثني من ذلك كتاب «تاريخ المدونات العربية المسيحية»[1] الصادر عام 1949 لمؤلفه جورج غراف Georg Graf، فهو كتاب يستعرض الكتاب العرب المسيحيين الذي برزوا في التاريخ المسيحي حتى القرن الخامس عشر، وقد تولى الفاتيكان تمويل هذا الكتاب وطبعه عام 1949. واحتوى المجلد الثاني على عدد كبير من العرب المسيحيين الذين عملوا في الترجمة وألفوا، ثم جعل الكتاب في أقسام لها صلة بالطوائف، ويرد ذكر حنين بن إسحاق في القسم الثالث الخاص بالنساطرة، ويعرف حنين بأنه عربي مسيحي على المذهب النسطوري ويوصف بأنه الأبرز بين كتاب مسيحي العراق للقرن التاسع، والمعلومة التي تستحق الإبراز حقا هو أن حنينا ألم بالسريانية بحكم معتقده المسيحي ومنصبه الكنسي ( شماس) Diakon. وهي معلومة لا ترد عند ابن أبي أصيبعة، ولم يشر المؤلف إلى مصدر ما حول هذه المعلومة[2]. ثم يستعرض المشهور من سيرته وأنه استحق التقدير بسبب صياغة وإرساء مصطلحات عربية في ميداني العلوم الطبيعية والفلسفة وأنه أعين على ذلك من خلال المصطلحات السريانية التي سبقت العربية بقرون في

(1) Graf, 1949/122-125.

(2) لهذه المعلومة صدى في بعض الكتابات العربية عن حنين، ( الدبيان 76/ 1993) ومفادها أن أول من ذكر صلة حنين بالمنصب الكنسي هو المستشرق الألماني باومشتارك Baumstark في كتابه تاريخ المدونات السريانية Geschichte der syrischen Literatur، ولم يتوفر لي لا هذا الكتاب ولا كتاب يوسف حبي عن «حنين بن إسحاق» الذي أشار إليه لمعرفة القرائن التي أسلمت إلى القول بأن حنينا عمل شماسا، لكن غياب هذه الوظيفة في سيرته المفصلة عند ابن أبي أصيبعة يلقي شكا حول هذه الوظيفة لأن سيرة حنين تبدو متماسكة حتى دون هذه الوظيفة، ولعلها كانت وظيفة مؤقتة في أول شبابه. انظر خبر هذه الوظيفة عند: الدبيان، أحمد: حنين بن إسحق، دراسة تاريخية ولغوية، مج 1، الرياض، 1993.

تعاملها مع لغة الإغريق وفي توليد وإيواء مصطلحات علمية. ويشهد له بأن أثره البارز في ميدان الطب لم يقتصر على العرب بل على الأوربيين أيضا عبر إسبانيا.

**خاتمة:**

نجمل في الخاتمة أن الألمان هم أول من اكتشف أن كتاب حنين بن إسحاق «العشر مقالات في العين» الذي عد مفقودا موجود في ترجمتين لاتينيتين (هيرشبيرج)، وهم أول من عثر على هذا الكتاب وعلى غيره فحققوه وترجموه ونشروه (مايرهوف)، وهم أول من استخرج رسالة حنين إلى علي بن يحيى من مرقدها في مكتبة آيا صوفيا في إسطنبول فبثت الحياة فيها بالتحقيق والنشر والترجمة والدراسة (بيرجشتريسر). بل هم أول من استفاد منها ودرسها دراسة مفصلة لمعرفة روح العصر العلمي وتطور الترجمة في العصر العباسي (مايرهوف وشتروماير). وكانوا بين الدارسين لتقنيات الترجمة إلى العربية وربما هم أول من درس تكييفات الترجمة التي قام بها حنين لما يتنافر بقوة مع معتقدات الثقافة المستقبلة (شتروماير وترجمة كتاب تفسير الأحلام لأرتيميدو).

ومن نتائج أعمالهم أن صورة العلم المنتج في الحضارة الإسلامية الخارج من أقلام نزيهة كالتي استعرضنا تبرز بجلاء إسهامات الحضارة الإسلامية الحاسمة في مسيرة الحضارة الإنسانية. إنها صورة فيها من عمق المنهج والتحقيق والتدقيق ما يدعونا بإلحاح للتعلم منهم، وحين نفعل فأن صورتنا عن أنفسنا وعن أهمية العلم قديما وحديثا سوف تتغير، لاسيما إن أتيح لكل التراث الاستشراقي المتعلق بتاريخ العلم أن يعرف على نطاق واسع في الساحة الإسلامية، وسنكتشف بالمقارنة مقدار ما يبذل من جهد في سبيل المعرفة العلمية الجادة وما هي الأدوات المنهجية واللغوية المطلوبة لإنجاز أعمال تتصف حقا بالعلمية والرصانة والجدية.

الاستشراق الألماني رصين وجاد وتنعكس فيه خصال العقلية الألمانية الطامحة للكمال في كل عمل تقوم به، فهم حقا على هدي القول المأثور «إن الله يحب إذا عمل

أحدكم عملا أن يتقنه». إنهم نزاعون إلى الكمال ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ويهون من أجل ذلك التعب والجهد والسهر. كان لابد من هذه الكلمات المنصفة، فهذا بعض حقهم علينا، ليس عطفا فقط على ما استعرضنا من كتابات متعلقة بحنين بن إسحاق بل عطفا على تراث الاستشراق الألماني كله بغض النظر عن مستويات الاتفاق والاختلاف حول الخلاصات والرؤى. هناك كم هائل من كتابات استشراقية ألمانية عالية الجودة وشديدة الأهمية في التعريف بتراث المسلمين العلمي، لكنها حبيسة المكتبات الألمانية وليس ثمة مشروع علمي في العالمين العربي والإسلامي يتعهد تراث الاستشراق بالدرس المنظم والشامل يحاكي جهود الاستشراق الغربي كله في تعلم اللغات والبحث عن المخطوطات والصبر على الصعاب ثم الحرص على استخدام مناهج علمية تستقصي المصادر وتستكمل الحلقات وتقدم نتاجا علميا يمثل العقلية العلمية المتطورة لأهله. إن تراثنا العلمي بين أيدي علماء يخلصون للعلم شغوفون بالمعرفة يظهر أبهى وأثمن أحيانا مما هو عليه بين أيدينا، وتقدم دراسات المستشرقين الألمان حول حنين بن إسحاق وما اتصل به من تاريخ العلم دليلا واضحا على ما نقول. صحيح إن كثيرا من دراسات المستشرقين ذات الصلة بالتاريخ السياسي والعقيدة لا تنعكس فيها لا صورتنا عن أنفسنا ولا رغباتنا ولا حتى موضوعية العلم ونزاهة المعرفة، فالعقيدة والتاريخ السياسي ميدانان للتدافع البشري والتنافر والتدابر في الفكر والمصلحة، ويقل فيهما العقل وتحضر العاطفة ويندر فيهما الاتفاق والتطابق في الرأي، إلا أن صورة «العلم العربي» كما سموه في العصر الوسيط تختلف تماما. ولسنا من السذاجة لنزيح فكرة إن تاريخ العلم يتناوله بشر أيضا تسري عليهم أحكام الزمان والمكان والتاريخ، فنجد بعضهم يتبع هواه، ويحق القول عند بعضهم فيصفو وجه الحقيقة للجميع بعدئذ. ندرك أن ظاهرة العلوم العربية في سياق التاريخ الأوروبي مرت بمنعطفات متعرجة ولم تتداول بمعزل عن صور التاريخ السياسي وجدل العقيدة، لكن تاريخ العلم في النهاية يحرر نفسه بالضرورة من هذه الارتباطات ويستقل بمناهجه

وخلاصاته وإن بعد حين. فالقرن التاسع عشر، قرن الأنوار وقرن الالتفات إلى تاريخ العلم أفضى فيما أفضى إلى استرجاع دور الوسيط العربي بين العلم الإغريقي والأوروبي. وسر ذلك، كما يقول شيبرجز، أحد مؤرخي تاريخ العلم، هو أن التفوق الأوروبي البارز في العلوم في القرن التاسع عشر جعل من هذه الدراسات في جزء منها مجرد تاريخ شاهد على مقدار المساهمات الأوروبية المعاصرة قياسا بمساهمات السابقين[1]. في هذا الإطار تصبح موضوعية تاريخ العلم، كما يقول شيبرجز، شهادة على التفوق الخاص الأوروبي.

تفوق مستحق لاريب. وتاريخ العلم، الذي ما نزال نتلمس طرقه، هو جزء من البناء المعرفي الحضاري، وهو السياق المعاصر الوحيد الذي تتألق فيه إنجازات الحضارة الإسلامية العلمية، ويشكل بالنسبة لنا استعادة ضرورية لروح عصر العلم ليسهم في بناء الثقة العلمية في الأمة كي تستلهم ثانية تراثها العلمي ببصيرة واعية وتراث العلم المعاصر أيضا، ومقصود ذلك كله بناء عقلية علمية تؤسس لحضور الأمة ثانية في التاريخ بإسهامات حضارية متميزة تشهد لها بالحيوية والاقتدار. وتبقى الترجمة العلمية ثانية كما في البدء بوابة الولوج إلى المستقبل العلمي المأمول.

(1) Schipperges, 1966/3-5.